الموسوعة الصغيرة

٧

دانتي

ومصادره العربية والإسلامية

عبد الطلب صالح

الموسوعة الصغيرة

٧

دانتي

ومصادره العربية والاسلامية

عبد الطلب صالح

منشورات وزارة الثقافة والفنون

الجمهورية العراقية

١٩٧٨

مقـــدمـة

إن الابحاث الحديثة قد اثبتت بصورة لا مجال للشك فيها أن الشاعر الايطالي (دانتي) قد تأثر بالاسلام ، وان الامر لم يعـد مقصورا على تشابهات او اختلافات بـين الادبين ، فهاهو ذا الاسـتاذ (فرناند بالدنسبرجر) أحد مؤسسي مدرسة الادب المقارن الفرنسية يقول في كتابه ، « توجيهات اجنبية لدى بلزاك » :

« لقد أصبح معترفا به أن الكوميديا الالهية قد تأثرت بالاسلام » وينقل الاستاذ المذكور في مكان آخر بأن « بلزاك قد اعتبر الكوميديا الالهية مثل القنطرة بين الشرق والغرب »(١) .

ان هـذه المسـألة تناولها بالاشارة مؤلفون

---

(١) فرناند بالدنسبرجر ، توجيهات اجنبية لدى بلزاك ص ٢١١ النسخة الفرنسية .

كثيرون خلال القرن التاسع عشر بصورة جزئية(٢)، الاّ ان الدراسات المفصّلة المنهجية ظهرت في هذا المجال اوائل القرن العشرين بكتاب المؤرخ الفرنسيّ (أ . بلوشيه) ، المصادر الشرقية للكوميديا الالهية المنشور سنة ١٩٠١ م ، هذا البحث التفصيليّ الجليل الذي سنعرض لأفكاره الرئيسة فيما بعد ، كان كتابا رائدا للعلماء المستشرقين الذين تخصّصوا في أبحاث دانتي ، وفي مقدمتهم المستعرب الاسباني ميگيل آسين پلاثيوس الذي استفاد من جميع البحوث السابقة ، واعلن صيحته الجريئة سنة ١٩١٩ م باطروحته الموسومة : « قصة المعراج في الكوميديا الالهية » التي كان لها دويّ بين اوساط المستعربين والمستشرقين ، انقسموا بين مؤيد ، أو معارض لها .

إنّ ما سنتناوله في هذا البحث هو عرض لتاريخ هذه المسألة بدءاً من « أ . بلوشيه »

(٢) يذكر الباحث الفرنسي (گيّيه دوسيزنا) في كتابه : حياة دانتي المنشور سنة ١٨٥٦ : « ان مبادىء دانتي مثل حياته وآثاره انسكلوبيدية ، وهذا ما يفسر تناقضاتها الظاهرية ، وفي الفلسفة والعلم نجد عنده رئيس المشائين ارسطو ، ومرشده الروحي افلاطون ، والادباء والاساتذة العرب ، المدارس الوثنية والمقدسة » ص ٤٧–٤٨ ، باريس ١٨٥٦ النسخة الفرنسية .

و « ميگيل آسين پلاثيوس » اللذين سيكونان حجر الزاوية لهذا البحث ، ثم عرض للافكار ، وردود الفعل لذلك عند المستشرقين الاوربيين ، وإيضاح موقفهم من الآراء التي تبلورت عند « پلاثيوس » ، وهذا سيشكل الباب الأول من هذا البحث ، أما الباب الثاني فيتناول المسألة لدى مؤرخيها من الباحثين العرب المعاصرين والمحدثين حيث يتم فيه مناقشتهم ، وتقييم آرائهم أو تفنيدها .

المسألة قبل « بلاثيوس »

ـ أ . بلوشيه ، والمصادر الشرقية للكوميديا الإلهية ـ .

يبدأ (بلوشيه) كتابه ، « المصادر الشرقية للكوميديا الالهية » المنشور عام ١٩٠١ م ، بعرض سريع يبين فيه المسالك التي انتقل عبرها الفكر الشرقي الاسلامي الى اوربا فيذكر « انّ فتح العرب لاسبانيا ، والعلاقات المستمرة بين جمهوريات ايطاليا الشمالية والشرق الأدنى ، ثم الحروب الصليبية ، اقامت صلات مباشرة بين الاسلام والغرب في القرون الوسطى ...(٢) ويعترف الباحث

(٣) انظر بهذا الصدد : مقدمة كتاب (پرومثيوس طليقا) ترجمة الدكتور لويس عوض .

(اوزانام) بكتابه الرائع « الفلسفة المسيحية قبل دانتي » بالتأثير الذي حصل بين الاسلام واوربا»(٤)

ويقرّر (أ . بلوشيه) أن الكوميديا الالهية هي كتاب القرون الوسطى ، مثلما كانت الالياذة كتاب العصور الاغريقية ، والا زيادة كتاب العالم اللاتينيّ ... ففي الشرق بلد الشمس ، ينبغي أن نبحث عن الصيغ الادبية المتقابلة مع الكوميديا الالهية .

بعد هذا العرض السريع ينتقل (أ . بلوشيه) الى فكرة بحثه الرئيسة التي خصّص لها أكثر من عشرين فصلا ، الا وهي : ان قصة المعراج المحمدية هي المصدر الذي استقى منه (دانتي) عناصر قصيدته : الكوميديا الالهية .

يقول (أ . بلوشيه) « كانت توجد في آسيا نسختان من قصة المعراج ، كلتاهما كتبتا في فارس، الاولى كتبها مؤلف (مزدكي) في عصر غير محدّد ، من المحتمل انه كتبها في نهاية حكم الاسرة الساسانية وهي النسخة المعروفة بكتاب (آرداڤيراف) ، أما الثانية فتقصّ معراج محمد الى السماء ، كتبت في

(٤) (بلوشيه) ، المصادر الشرقية للكوميديا الالهية ،

حدود القرن الثاني للهجرة ، ثم انتقلت الى آداب الشرق »(٥) .

ويعتقد (أ . بلوشيه) أن أصل قصة المعراج في الفكر المزدكي ، مقتبسة عنه بكل تفاصيلها ، فأن بالامكان البرهنة بصورة اكيدة بان هذه القصة هي أساس الكوميديا الالهية لدانتي .

ويرجح (أ . بلوشيه) « ان (دانتي) لم يعرف هذه القصة من الكتب الاصلية الواردة من الشرق الى إيطاليا ، او بالاحرى ، ان المصدر الذي تأثر به وهو يؤلف الكوميديا الالهية ليس مباشرا وليس مكتوبا بل فقط كان شفهيا »(٦) .

وينتقل (أ . بلوشيه) الى استنتاج اصيل حين « يستبعد تأثر دانتي بالتلمود ، او بعديد من كتب المعراج العربية ، لأنه لم يكن يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ، ولا العبرية ، انما كانت اللغة التي يعرفها هي الفرنسية واللاتينية ، وليس من شك بأن دانتي كان يعرف الفرنسية بناء على قوله عن (الكنز) لـ (برونتّو لاتيني) ، فواضح بأنه لا يستشهد بهذا الكتاب دون أن يقرأه »(٧) .

(٥) المصدر نفسه ص ٢ ـ ٤
(٦) المصدر نفسه ص ٩
(٧) المصدر نفسه ص ١٠

فلو كان « دانتي » قد قرأ قصص المعراج المحمدية أو قصص موسى ، لكان من المظنون أنه أشار الى ذلك عندما ذكر تحت قلمه هذين المشرّعين مسجلا « موسى » ، وناعتا « محمد » بأوصاف نجلّ عنها .

اذن فدانتي لم يعرف معراجا آخر غير معراج « سيناء » الذي ذهب « موسى » في اثنائه يتسلم « ألواح القانون » من يد الله وفي الانشودة الثامنة والعشرين من الجحيم » يقتصر دانتي على لوم « محمد » وتصويره « علي » بأنهما بذرا بذور التفرقة وسببا الفضيحة على الارض »(٨) .

وهذا الذي يذكره « أ . بلوشيه » يدلّ على اطلاع « دانتي » على حياة نبي العرب ، وانه قد تأثر بالجوّ الحاقد للعصور الوسطى تجاه « محمد » .

إذن فاين نجد المصدر الذي قبس منه « دانتي » معلوماته الشرقية ؟ يقول « أ . بلوشيه » : إن لم تسدّ « الصيغ الشرقية » لقصة المعراج « دانتي » مباشرة ، فسنرى بأنه قبسها — على العكس — جزئيا وبصورة غير مباشرة — بواسطة حكايات الفرسان الذين ذهبوا لمقاتلة العرب ، وعن طريق مؤلفات المؤرخين بالعالم الشرقي . فبالرغم

(٨) المصدر نفسه ص ١١

من « ان هذه المعلومات لم تعط « دانتي » بعض الافكار المحدّدة جدا ، فانها لا تشكل غير مصدر ثانوي جدا للكوميديا الالهية . بل ينبغي أن نبحث عن مصدرها الحقيقي في الصيغ الغربية لهذه الاسطورة تلك الصيغ التي انتشرت في العالم المسيحي خلال القرون الوسطى لان الادب الكلاسيكي لم يعط « دانتي » في هذه النقطة عدا « فرجيل » غير عدد صغير جدا من الوثائق »(٩) .

وقد حاول « بوشيه » في بحث صغير نشر في مجلة « تاريخ الاديان » أن يظهر بان القصة الايرانية للمعراج قد عدلت مبكرا في اليونان . واننا نجدها عند نائرين كتبهما انتشرت في كل العصور ، مثل « افلاطون وبلوتارك » .

وبدأ « بلوشيه » بدراسته النسخ الغربية للمعراج موضحا ما استعاره منها « دانتي » ، ومن الجهة الاخرى ، بأن كل هاتيك النسخ بلا استثناء تحتوي على عناصر غريبة على الاساطير الاوربية التي لا تفسر الا باستيراد شرقي .

واكمل اشكال تلك الاساطير الخارقة توجد في تاريخ القديس « برانداني - Brendan - وهذه الاسطورة — وفق كل الاحتمالات عرفها « دانتي » واثرت في خطة « الكوميديا الالهية » .

(٩) المصدر نفسه ص ١٩

ـ ملخص اسطورة القديس (برانـدان) : ـ

هناك قس اسمه (بارنتس) ابحر في اتجاه الغرب . وذات يوم شاهد القديس (برانـدان) . وقص عليه كيف انه وجماعة من الرهبان القوا رحالهم بجزيرة فصلها نهر الى قسمين . فنزهوا دون شرب ودون طعام . خلال سنة كاملة بدت لهم كانها اسبوعان . لقد منعهم ملاك من عبور النهر الذي لمح وراءه جنينة من الفردوس . ومن دون ان يعرف تماما لماذا قرر القديس فجاة ان يتم الرحلة نفسها . وابحروا مع الرهبان الذين عاشوا معه .

وبعد ان جابوا البحر اربعين يوما باتجاه راس الجنوب . اكتشف القديس جزيرة . وفي نهاية ثلاثة ايام سيرا . وصل مع رفاقه تجاه قلعة وكلب يصحبهم في قصر حيث يوجد مايأكلون . وينزل القديس (برانـدان) بعد ان فقد واحدا من رفاقه في هذه الجزيرة . وبعد ثلاثة ايام . يكتشف جزيرة اخرى حيث سيبقى حتى عيد الفصح . ثم يصل الى جزيرة اخرى حيث يقرر النزول . وقد هيئا البحارة النار على الجزيرة التي تغوص وتمتد في البحر ، حيث ظنوها ارضا صلبة ، على حين انها لم تكن غير ظهر سمكة هائلة (انظر : الحوت والقصة نفسها في الف ليلة وليلة) .

ثم يصل القديس تجاه جزيرة غطتها طيور بيض . تلك الطيور هي ارواح البشر الموتى دون خطيئة . ولكنهم لم يعرفوا دين المسيح . وقد حدد (الله) لهم هـذا المكان حيث لا يقاسون الما غير حرمانهم من البصر وتجوالهم في العالم . وفي يوم الاحد . ترتدي هذه الارواح صورة طيور لاجل ان يرتلوا تمجيد الإله . واحد هذه الطيور يحط على مركب القديس ويتنبأ له بان رحلته ستستمر ايضا سنة كاملة . ثم سوف يصل الى ارض الميعاد ، ويخبره ايضا انه سيحتفل باعياد الفصح المقبلة في جزيرة الطيور . وبعد ثمانية اشهر سيكتشف جزيرة (ايلبي) . حيث سيحتفل بعيد نوئيل (رأس السنة) او ميلاد المسيح) .

وفي نهاية ثلاثة اشهر بحرا . يصل القديس برانـدان ، تجاه جزيرة حصينة . دار حولها اربعين يوما . دون ان يتمكن من النزول فيها . واخيرا يفتح منفذ بطريقة سحرية امام مركبه . ويقدم شيخ امام القديس ويقوده هـو ورفاقه الى دير بعيد دون ان يجيب على اسئلته . وهناك يستقبلهم هـذا الشيخ واحد عشر من اخوته حيث يدعونهم الى مائدتهم . ولم يعرف اي من الضيوف من اين جاءهم غذاؤهم . ثم يحضرون احتفالا دينيا في كنيسة رائعة . ويروي رئيس المجمع للقديس بانهم جاءوا

الى هذه الجزيرة منذ ثمانين عاما . ولم يتكلموا شيئا سوى ترتيلهم الخطب الدينية ...

وفي اثناء ما كانوا يتكلمون . إذا بسهم من نار يخترق النافذة . ويشعل المصابيح الموجودة قبالة المعبد . ثم يعود السهم من حيث أتى دون ان يتفقد الشمع . لان هذا النور كان روحانيا ... ويمضي القديس في البحر حتى بداية الصوم الذي يسبق عيد الفصح ... ثم ينزل هو وصحبه الى جزيرة ماؤها يسبب النوم بصورة غريبة ... وينجهون نحو الشمال خلال ثلاثة ايام ... وينجهون بعدئذ نحو الشرق . وقد وصلوا الى الجزيرة التي احتفلوا فيها قبل عام بعيد الفصح ... ثم اتجهوا نحو جزيرة (Ailbey) حيث احتفلوا بعيد (توليل) . وفي اثناء مسيرتهم في هذه الجزيرة . هاجمهم وحش طائر قتله وحش من نوعه استجابة لصلوات القديس ..

وفي اثناء المسيرة نفسها لاحظوا عمودا يرتفع من البحر . ووجدوا هناك قدحا مقدسا من البلور . وبعد ان ابحروا صوب راس الشمال . وصلوا بعد ثمانية ايام قرب جزيرة لم يستطع القديس ان يتجنبها . حيث ان سكانها وحوش مرعبون كانوا يقذفون من اعلى جبل كتلا حديدية حامية لإغراق مركب القديس (براندان) . وفي اليوم التالي وجدوا

انفسهم قبالة جبل شاهق ملتهب . ... ثم نزل القديس بعد ذلك في جزيرة اخرى حيث راى رجلا جالسا على صخرة وجهه موسوم بعلامات حزن قاس فظيع . وهذا الرجل كان (Judas) وفي اثناء ستة الايام من الاسبوع كان يقدم ذلك الخائن الى عقاب مخيف . ولكن يوم الاحد . كان ذلك العذاب يوقف برحمة المسيح . وفي اثناء اعياد السنة الكبرى كذلك . وفي بقية الوقت كان يعذب مع (Hérode) و (Pilate) و (Anne et Coïphe)

ثم يكتشف القديس جزيرة . وينزل اليها بمفرده ، ويرى نافورتين كانت تسيل بينهما عين كان ماؤها ينحدر من قبل الصخور التي تكون الجزيرة ؟ وهنا كان مثوى الراهب المعتزل (Paul) الذي كان الإله يرسل اليه غذاء خارقا .. ثم ينزلون الى جزيرة اخرى بعد ان تركوا مركبهم ليركبوا ظهر حيوان قادهم الى جنة الطيور ... ثم يصلون الى الجزيرة التي يبحثون عنها منذ سبع سنين . فيجدون نهرا لم يقدروا على اجتيازه . ويعودون الى موطنهم اخيرا(١٠) .

ـ مناقشة (بلوشيه) لاسطورة القديس (براندان) :

في اسطورة القديس (براندان) عدة اقسام

(١٠) المصدر نفسه ص ٢٢ ـ ٢٢

متقاربة مع حكاية مشهورة من حكايات (الف ليلة وليلة) . حكاية البحّار ـ السندباد البحري ـ الذي أرسله الخليفة هارون الرشيد في مهمة رسمية الى المهراج سلطان الهند الكبرى ... واكثر هذه الحكايات اهمية ، حكاية تلك السمكة الهائلة التي اعتقد بحّارة السندباد بانها جزيرة ، السمكة التي غطست في البحر ، حالما اشعلوا النار على ظهرها ...

ويعزو (بلوشيه) الى الفرس اصل هذه الحكاية ، وليس الى العالم الاغريقيّ ... ثم يشير (بلوشيه) في ص ٣٤ نقلا عن المسعودي في كتابه (مختصر العجائب) الى حكاية تشابه حكاية السمكة الهائلة التي ظنّها البحّارة جزيرة ...

ومن البديهيّ انها السمكة ـ الجزيرة ـ التي نفذت الى الاسطورة الاسكندنافية تحت شكل (كريكين) .

وليس من المعلوم تماما ـ كما يقرّر بلوشيه ـ في اي ادب غير الادب العربي وجد الناسخون هذه الاسطورة . ومن غير شك ـ في الأقل عن هذه النقطة ـ أن هذه الاسطورة الارلندية معتمدة على القصة العربية التي ترقى هي نفسها الى الادب الايراني ...

ويخلص (بلوشيه) في خاتمة الفصل الرابع الى : « اننا سنرى بان دراسة اسطورة الجزر للقديس (براندان) تبرهن بأنها اخذت من قبل الارلنديين من الجغرافيين وعلماء الكون المسلمين .

وبعد ان يناقش (بلوشيه) باحثا فرنسيا هو (رينوه) حول الجزر الخالدة ، وذكر الادريسيّ والبيرونيّ والمسعودي لها ، يخلص الى الاعتراف بان الاسطورة الارلندية (براندان) هي اصل لجزء مشهور من (الف ليلة وليلة) المعروف بحكاية السندباد البحريّ .

ثم يعرض (بلوشيه) لنزول القديس (پول) الى الجحيم برفقة الملاك (القديس ميشيل) ، ويرى أن هناك تشابها بين نزول (القديس پول) الى الجحيم وبين الرحلة العجيبة للفارسيّ (آردا ـ قيراف) ... وانّ وجود (القنطرة) في اسطورة (القديس پول) يدلّ على ان هذا الشيء قد جاء بتأثير الافكار الشرقية ...

ثم يعرض (بلوشيه) في الفصل الحادي عشر من كتابه اسطورة اخرى يلخصها فيما يلي :

ان رؤيا (Bernold) لم تكن غير اقتباس سياسيّ للمعراج ولا يمكن ان تقارن مع المؤلفات الشرقية مثل (آزدا ـ ڤيراف) و (معراج نامه)

« ومن العجيب ان هذه الاسطورة لها عدة ملامح مع الكوميديا الالهية . انها تستند الى مبدأ هو أن صلوات الاحياء يمكن ان تغفر للاموات خطاياهم، وتمنح سلوانا لعذاباتهم هذه الفكرة نجدها في امكنة متعددة من الكوميديا الالهية »(١١) .

ويستمر (بلوشيه) في عرض اساطير اخرى مثل رحلة : (Charles le Chauve في عالم الجحيم(١٢) ، ثم اسطورة القديس (ماكير) التي تعتمد على جملة نصوص عربية ، واصلها مثلما يعتقد المؤلف هو الشرق ... الخ .

اذن في رأي (بلوشيه) ان رحلة القديس (براندان) واعراف القديس پاتريس ، ونزول القديس (پول) هي مؤلفات ارلندية محض ، اشتقت منها الصيغ الاخرى لقصة المعراج في اوربا، التي وصلت الى ارلندا بسبب وجود طرق العبور من اعماق الشرق الى شواطىء بحر الظلمات .

النتيجة :

يقول (بلوشيه) في الفصل الثاني والعشرين من كتابه : « تحدّث كثير من المؤرخين اللاتينيين في

(١١) المصدر نفسه ص ٩٠

(١٢) المصدر نفسه ص ٩٢ ـ ٩٤

القرون الوسطى عن الشرق بكفاءة تبرهن على ان تاريخ الحضارات الشرقية واساطيرها كان معروفا تماما في الغرب ، وكان اثنان من المؤرخين يذكران اسراء محمد الى القدس هما : (رودريكس كزيمنيس) في كتابه : (التاريخ العربي) ، (بارتولومي ،ديدس)، الذي كان مطلعا جدا على قصة المعراج ...»(١٣) في الجزء الثالث من كتابه الموسوم :

"Adversus nefandam sectan saracenorum"

لمؤلفه :

"Pièrre le Vénérable neurièm albè de clany qui vécut au XII 'Z."

حيث توجد قصة معراج محمد اذ ان الفصل الاول منه معنون :

Quad Mahumeth miracula facera non potuit exsupradicta ejus nefanda probatori

تقويم كتاب (بلوشيه)

انّ كتاب الباحث (بلوشيه) الصادر عام ١٩٠١ م ، تحت عنوان : المصادر الشرقية للكوميديا الالهية هو اول بحث واسع في القضية التي

(١٣) المصدر نفسه ص ١٧٧ ـ ١٧٨

نناقشها، أي، مسألة تأثر دانتي بالمصادر الشرقية، وهـو البحث الذي سبق فيه (بلوشيه) (آثين پلاثيوس) المستعرب الاسباني بثمانية عشر عاما ، والغريب أنّ اغلبية الابحاث الاستشراقية هي هذه القضية لم تشر اليه قط ، مركزة اهتمامها حـول نظرية (پلاثيوس) الذي اعتبر المفجّر الاول لقنبلته، نظريته في عالم الاستشراق ، في تأثر دانتي بالمصادر الشرقية الاسلامية ، الاّ واحدا من اولئك الباحثين هـو (Vicente Cantarino) من جامعـة « انديانا » بالولايات المتحدة اشـار الى فضـل (بلوشيه) في هذه المسألة في بحثه الموسوم : دانتي والاسلام ـ تاريخ تحليلات للجـدل(١٤) شـارحا منطلقات هـذا الباحث التي قدّمنا خلاصة لها في الباب الاول من دراستنا هذه .

ان الفكرة المركزية لبحث (بلوشيه) تكمن في « ان اصل قصص المعراج هي من اصل هندي ـ إيراني ، انتقلت الى اوربا المسـيحية حيـث اكتسبت شـكلها ومحتواها ، واحدى تلك القصص

(١٤) Vicente contarino, Dante and Islam: History and analysis of a controversy Indiana University see pages 176-177

هي معراج (محمد) الذي تمكن دانتي من سماعه شفاها من احد الفرسان العائدين من القدس مع امبراطور المانيا ، وهذا المصدر الشفوي يعتبر في نظر (بلوشيه) مصدرا ثانويا »(١٥) .

انّ المسار الذي سلكه (بلوشيه) لإثبات تأثر دانتي بقصة المعراج متشعب ، وواسـع قاده الى استنتاجات عامة دون أن يمتلك الدليل التاريخي على اثبات معظمها ، منها محاولته في البحث الصغير الذي نشـرته له مجلة (تاريخ الاديان) أن يظهر « بأن القصة الايرلندية للمعراج قد نفذت مبكرا في اليونان ، واننا نجدها عند ناشرين كتبهما انتشرت في كل العصور هما : افلاطون ، وبلوتارك »(١٦) .

ولو تذكّرنا ما قاله (بلوشيه) آنفا من ان اصل قصة المعراج المحمدية هـو في الفكر المزدكي ، مقتبسة عنه بكل تفاصيلها ، وان الاصل كتب في نهاية حكم الأسرة الساسانية تحت اسم (آزدا ڤيراف) تبين لنا افتراض (بلوشيه) من نفاذ هذه القصة الى مؤلفات (افلاطون) و (پلوتارك) .

والذي يرجّحه (بلوشيه) أن دانتي تأثر بقصة المعراج التي تسلّمتها المصادر الاوربية المسيحية ،

(١٥) المصـدر نفسه ص ١٧٦
(١٦) بلوشيه ص ١٩

وعن طريقها نفذت الى كوميدياه الالهية سواء بخطها ام بتفاصيلها .

وينقل الباحث (فنسنت كانتارينو) (١٧) بهذا الصدد رأي (بلوشيه) : بانه « يجب ان نبحث عن مصادر دانتي الحقيقية في الصيغ الغربية . وهذا ما اشار اليه (بلوشيه) ايضا . ووضحه عندما نسب ان دانتي قد عرف اسطورة القديس (براندان) وانزلت في خطة كوميدياه الالهية .

وفي اعتقادنا ان ما دفع (بلوشيه) الى ذلك المسار الطويل الذي انتقلت فيه قصة المعراج من فارس المزدكية عبر العصور القديمة والوسطى الى ايرلندا . وبريطانيا كي تحط بعدئذ . رحالها في ايطاليا فتصل الى علم دانتي حتى تؤثر في كوميدياه الالهية . نقول ان ما دفع (بلوشيه) الى هذا الاعتقاد استبعاده ان يتاثر بكتب المعراج العربية لان لم يعرف كلمة واحدة من اللغة العربية ـ لكنه ـ وبلوشيه يقر ذلك ـ كان يعرف الفرنسية واللاتينية اللتين لم تكن الابحاث العلمية في مطلع القرن العشرين تبين ان قصة المعراج المحمدية قد ترجمت اليها من قبل (بونافنتور) و (ابراهام اليهودي) في القرن الثالث عشر للميلاد . وجب ان تنتظر الابحاث

(١٧) فنسنت كانتارينو ، دانتي والاسلام ص ١٧٦

العلمية نصف قرن تقريبا بعد كتاب (بلوشيه) لتكشف المستشرق الاسباني (اسانديثو) والمستشرق الايطالي (تشيروللي) مخطوطتين لقصة المعراج ترجمتا الى الفرنسية واللاتينية . وليعرف عالم البحث الاكاديمي الحلقة المفقودة التي ما انتبه اليها لا (بلوشيه) ولا (بلاثيوس) لتؤكد تاثر دانتي بالاسلام . ولكي نكون في غنى عن كثير من الافتراضات العامة التي ساقها (بلوشيه) في تاثر دانتي بالمصادر الايرانية ـ الهندية . انها افتراضات تعكس سعة اطلاع (بلوشيه) دون شك . لكنها لا تقدم لنا الدليل الواقعي لقضية التاثر التي نحن بصددها . فالواقع ان ما تناثر من افكار في الفلسفة والفلك وغيرها في مؤلفات دانتي النثرية خاصة بدل دلالة قاطعة ان من بين المناهل التي اغترف منها دانتي في جميع مؤلفاته . الشعرية والنثرية هو قصة المعراج المحمدية التي ترجمت قبل مولد دانتي بزمن وجيز . ومجموع الفكر الاسلامي الذي نفذ الى اوربا في القرون الوسطى الذي انعكس جليا في آثار دانتي سواء الاحداث التاريخية مثل مقتل الامام علي . وتعليقات دانتي على كتب الفلاسفة المسلمين مثل ابن رشد . والغزالي . وابن سينا . في كتبه النثرية كما سنوضح ذلك في فصل لاحق من هذا البحث .

البابُ الاول

الكوميديا الالهية في المصادر الاوربيّة

أ ـ ميگيل آثين پلاثيوس : « فكرة الحشر والنشر الاسلامية في الكوميديا الإلهية » .

يعود بي هذا الموضوع الى وقت بدأت نفسي فيه تتفتّح لآفاق جديدة في ميادين الفكر والادب ، كانت هناك ضمن زادي الثقافي كتب متعددة من بينها « الكوميديا الالهية » لدانتي ، التي قرأتها مترجمة الى اللغة العربية ، لقد تأثرت بها تأثرا أثار في نفسي ذكريات قديمة حيث كنت اقرأ قصة المعراج المحمدية ، ثم رسالة الغفران للشاعر أبي العلاء المعري في رسالة الغفران » .

وبالرغم من ذلك ، فلا نستطيع أن ننشىء موضوعا علميا راسخا ، منطلقين من مجرّد التوافق

والتوافق الذي وجدته بين « الكوميديا الالهية » و « رسالة الغفران » أملى عليّ بان الفكر الانساني أوسع واكبر مما نتصوّر ، وما عمله دانتي في « الكوميديا الالهية » سبقه اليه ابو العلاء المعري في « رسالة الغفران » .

بين ادب وآخر ، ونحن ننهج في ميدان الادب المقارن ، الذي لم تبلغ ولادته قرنا واحدا بعد ، إذ تشير ابحاث هذا العلم الى أنه غير الموازنة الادبية التي عرفتها ابحاث البلاغيّين القدماء ، فـ « الادب المقارن ـ مثلما وضّح البروفسور جان ماري كاريه ـ هو فرع من التاريخ الادبي ، وهو دراسة العلاقات الروحية العالمية التي وجدت فعلا بين (بايرون) و (پوشكين) ، بين (گوته) و (كارليل) ، بين (ولتر سكوت) و (الفرد ده ڤني) ، وبايجاز ان من يقول (ادب مقارن) يعني تأثرا ، واستعارة ، وذيوعا »(١٨) .

هذا الفصل يعتمد أغلبه على تحليل الاستاذ « بللّور » للكتاب المشهور « فكرة الحشر والنشر الاسلامية في الكوميديا الالهية لدانتي » ، الذي ألّفه المستعرب الاسباني ، ميكيل آثين پلاثيوس ، كما يعتمد هذا الفصل على مقالة عرضت للمعركة التي احتدمت بين مناصري پلاثيوس ، وبين خصومه ، انها مقالة الاستاذ ليونارد اولچي ، الموسومة : « قصة المعراج المحمدية والعالم الآخر لدى دانتي » التي ظهرت في العدد الاول من مجلة (الادب المقارن) لجامعة (اوريغون) .

(١٨) فرانسوا ماريوس گويار ، الأدب المقارن ، المقدمة ، المطابع الجامعية الفرنسية ـ النسخة الفرنسية ـ

وأولى الملاحظات التي يتطرّق اليها (بللّور) في كتابه : « دراسات جديدة وصور أخرى » في اثبات الصلة التاريخية بين دانتي والاسلام ، هي : انّ الفلاسفة الفرنسيسكانيين ودانتي قد تبنّوا مذاهب الافلاطونية الجديدة ، والمذاهب الغامضة الرمزية للفيلسوف الاسلاميّ (ابن مسرّة) ، وفضلا عن ذلك ، فانّ فيلسوفا مسلما آخر هو (ابن عربي) قد أعطى قصة لمعراج يشبه بصورة فريدة معراج (دانتي) و (پياتريس) عبر مجالات الفردوس وهذه الاستعارة الخيالية ، ما هي في نظر (پلاثيوس) غير التأثر بالمعراج المحمديّ المشهور .

ويلاحظ (دانكونا) بانّ الاساطير المسيحية السابقة لم تكن انموذجا يحتذى من (دانتي) ، ولكن اعتبارا من القرن الحادي عشر الميلادي ظهرت اساطير اخرى اكثر دقة وكمالا عن نسبة العقاب والثواب ، تظهر ثقافة اكثر نقاءً ، و (دانكونا) يرى فيها محاولات اولى مهدت للكوميديا الالهية .

ولكن من أين جاءت ؟

انّ (بللّــور) يفترض بان الكوميديا الالهية ، والمفاهيم الشعرية لحياة ما وراء القبر المنبثقة من المسيحية قد تأثرت بالادب الاسلاميّ . وان (دانتي) قد تأثر بها نتيجة ذلك .

انّ معراج (محمد) ومسراه الليلي قد نجم عن آية قرآنية :

« سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا ، انه هــو السميع البصير » .

ولقد استفاد المتصوفة والفلاسفة المسلمون من هــذا المعراج ، فابن عربي ألّف قبل مــولد (دانتي) بعشرين او خمس وعشرين سنة كتابين ، اولهما : كتاب الاسراء الليليّ ، والآخر ، ايحاءات مكـــة .

انّه يتصوّر صعود رجل لاهوتي ، وفيلسوف من سماء الى سماء ، وفي كل مرحلة يصادف كل واحد منهما المرشد ، والاســتاذ الذي يلائمهما ، ويقابلان في السماء الاولى آدم وروح القمر ، وفي السماء الثانية يقابلان المسيح ويوحنا ، وفي السماء الثالثة ، الكاهن جوزيف وڤينوس ... ويصوران حتى السماء السابعة ... ، والفيلســوف الذي يقوده العقل الطبيعي لا يقدر على الصعود أبعد من ذلك . أمّا رجل اللاهوت فيخترق اجــواء الكواكب الثابتة ، ويبلغ الى عرش الإله ، وفي أثنــاء ذلك تسحره موسيقى الاجــواء السماويّة ، ومن هناك ينفذ الى باحة العنصر الروحيّ ، متعمقا في اسرار

الكمال الالهيّ ؛ دون ان يعرف جوهرها ؛ وبعدئذ ينزل الى الأرض .

وفي الادب العربيّ يعطينا شاعر من القرن الرابع للهجرة ـ القرن الحادي عشر للميلاد ـ ؛ ابو العلاء المعريّ رسالة كتبت على غرار قصة المعراج ؛ نجد فيها رجلا رحّالة ، بائسا ذا ذنب مثل المعري ؛ ومثل دانتي . والمخلوقات التي يصادفها ، بشر ، من النساء والرجال البائسين مثله ومثل دانتي .

والتحليل الدقيق لمختلف اشكال المعراج لدى الصوفية والفلاسفة تظهر لنا تشابهات غريبة بينها وبين قصيدة دانتي فرحلة ابي العلاء المعري ودانتي كلتاهما تبدءان ليلا عقب نوم عميق « اسد وذئب يعترضان طريق صاحب ابي العلاء المعري ، مثلما يعترض الذئبة والاسد طريق دانتي . كان فرجيل يصاحب دانتي في الكوميديا الالهية ؛ وفي معراج محمد كان يرافقه جبرائيل ؛ وكان سيطور كبير الجن يرافق ابا العلاء .

وعلى سفح الاعراف يشاهد دانتي في الحلم امراة عجوز تمتامة ذات عينين مريبتين ؛ لكن ملامحها متلوّنة بالوان الحب ؛ وهي تشرع في الغناء بصوت حورية من الحوريات قائلة : « إنّ من يتردّد عليّ . نادرا ما يبتعد . بفعل سحري له » . وبعد

فترة تظهر امراة قدّيسة تمسك بالامراة العجوز ممزقة لها ثوبها ؛ فتبدو عارية بعد ذلك ؛ والعفونة التي كانت تخرج منها تصحي دانتي من حلمه .

اما في قصة المعراج فيرى الرسول عجوزا شمطاء زيّنت نفسها بمساحيق خلاّبة ؛ تحاول باغراء كلامها ، واسلوبها أن تجذب محمدا اليها ، لكن جبرائيل يشرح له ، كما يشرح فيرجيل لدانتي بأن هذه العجوز ماهي الاّ رمز لخطايا العالم .

وكلا الرحّالتين ، المسيحي والمسلم يعانيان من الذهول ، وعدم القدرة على تفسير مايشاهدان. الرسول يقول : « رايت شيئا هائلا بحيث يعجز لساني عن تفسيره ؛ لقد اعتقدت انني صرت أعمى ، لكن ببصيرتي الروحية قدرت على التامل . لقد شاهدت ضياء ؛ ليس مسموحا لي أن اصف جلاله » .

امّا دانتي فيقول : « منذ هذه اللحظة ، عقدت الرؤية لساني ... واعتقد بناءً على الجرح الذي اصابني به الشعاع الوهّاج ؛ انني صرت أعمى ، ومنذ الآن فانا غير قادر على تذكر ما شاهدت ..» .

وقد جعل دانتي مثل ابن عربي من رحلته الخيالية رمزا للحياة الاخلاقية . وعندما نتأمل ابواب الجحيم السبعة في الإسلام ، نجد أن دانتي

قـد عمل تصويره على غرارها . إنّ ابن عربي قد خصّص فصولا طويلة في كتابه (إيحاءات مكـة) لوصف هذه الجحيم التي وضّحها بصور تشابه بالضبط الصور التي وضـعها ناشـرو الكوميديا الالهية زمن دانتي .

إنّ دانتي وڤرجيل يمشـيان دائما باتجـاه اليسار ، وليس باتجاه اليمين ، وهـذا هـو مجاز جـاء من المتصوفة العرب ، وخاصة من ابن عربي ، اولئك المتصوفة الذين يزعمون ان ليس هناك يمين لساكني الجحيم ، كما ان ليس هناك يسار لساكني السـماء .

ونجد في جحيم دانتي بين المحكومين استاذه (برونتو لاتيني) . يقول النصّ العربيّ : « انهم يجبرون بعد أن قذفوا بالجحيم بان يدوروا ابديا مثلما يدور الحمار حول المطحنة ، فيراهم تلامذتهم من اعالي السـماء او الجحيم ممن عرفـوهم على الارض ، ويسألونهم ، ما الذي جـاء بكم هنا ، انتم الذين تعلّمنا على أيديكم ؟ » .

هل جاء مصادفة هـذا النصّ الاسلاميّ الذي اوحى لدانتي نكران التلاميذ لجميل اساتذتهم ، برميهم في قعر الجحيم ؟

بقي أن نعرف كيف وصل هـذا الادب الى دانتي ؟

إن دانتي قد سمع بصورة تقرب من التأكيد قصة معراج النبيّ من استاذه (برونتولاتيني) الذي كان عالما واسع المعرفـة . وكتابه الكبير (الكنز) يوصي به لدانتي من قعر الجحيم ، هـذا الكتاب مملوء بالعلوم والفلسـفة الاسـلامية ، لقـد كان (برنتولاتيني) مرشد دانتي الأدبي . ولقد اثبت لنا دانتي بأنه كان يعرف بعض الاشياء عن تاريخ النبيّ ، وبان كانت لديه محبة وعاطفة تجاه المفكرين المسلمين .

« يقول محمد لدانتي : « ينطلق امامي عليّ باكيا ، وقد فلعت هامته حتى الذقن » وهذا أمر تأريخي، فقد اغتيل الامام عليّ في السنة ٤٠ للهجرة، في الوقت الذي ذهب فيه الى المسجد يؤدي فريضة صلاة الجمعة ، وقد شجّ القاتل بضربة واحـدة رأسـه .

انّ ميل دانتي نحو الاسلام هـو اكثر تأكيدا من معرفته للتاريخ ، ففي مؤلفاته النثرية يذكـر دانتي المؤلفات الاسلامية التي اعتمد عليها .

ونحن نعرف ـ كمـا يقـول بلّلـور ـ بأنّ الكوميديا الالهية كانت الخلاصة الشعرية للقرون الوسطى ، بل انها كانت اكثر مما نتصوّر ، إذ انها تحتفظ بانعكاس الحضارة الاسلامية وطابعها ، التي كانت القرون الوسطى عصرها الكبير .

أما الوثيقة المدهشة التي استند اليها المستشرق الايطالي (تشيروللي) حسب قول (ليوناردي اولچي) فهي كتاب المعراج الذي يروي إسراء النبي محمد هذا الكتاب كان قد ترجم الى ثلاث من اللغات الاوربية .

إن الاستاذ (تشيروللّي) يعلمنا أن رجلين نشرا كتاب المعراج المحمدي في الاوساط المسيحية في القرون الوسطى ، الاول كان عالما يهوديا ، اسمه (ابراهام) ترجم المعراج الى الاسبانية ، بناء على طلب الملك سنة ١٢٦٤ م ، والثاني كان توسكانيا واسمه (بون اڤانتور)(١٩) الذي نقل الترجمة الاسپانية لكتاب المعراج الى اللغة الفرنسية واللاتينية .

وفي ختام هذا الفصل نذكر عدة ملاحظات على تحليل (بلّلور) الذي يحدّثنا في كتابه(٢٠) :

« كم من مرة نضع أيدينا على مقتبسات أحد الشعراء ، فافكر لو بُعث الشاعر الى الحياة لاندهش مما ننسبه اليه من قراءته لبعض المؤلفات التي ربما كانت في مكتبته ، لكنه لم يقرأها » !

(١٩) بون اڤانتور ، احد آباء الكنيسة في توسكانيا عاش من ١٢٢١ ـ ١٢٧٤ م ـ وله عدة مؤلفات في اللاهوت والفلسفة

(٢٠) بللور ، دراسات جديدة وصور اخرى ، طبعة Perrin

هذه فرضية جميلة : يشوبها العنصر الرومانسيّ ، لكن أشك في انها تنطبق على حالة دانتي . فماذا نقول إزاء تاكيدات دانتي في مؤلفاته النثرية بانه كان ذا محبةوعاطفة بالنسبة الىالاسلام؟

ثم الم يتّفق (بللور) بان الكوميديا الالهية كانت الخلاصة الشعرية للقرون الوسطى ؟(٢١) .

وفضلا عن ذلك ، لماذا يضع شاعر مثل دانتي في مكتبته كتبا دون أن يستفيد منها ؟ على حين اننا نشاهد في قصيدته ، الكوميديا الالهية شواهد عدة مثل ، اغتيال الامام علي صهر محمد ، واسماء فلاسفة مسلمين مثل ابن رشد وابن سينا ، مما يعكس نهمه الثقافي وروح الاستطلاع لديه ؟

ويبدو لي ان بللور ينسى ما يسميه النقد الادبي : الاصالة وليس من المدهش ان نرى دانتي وهو بهذه الصورة ، فهو نفسه لم يشك في أسده ! . إنه لم يتصوّره خروفا ! آه ! كم من الاسود نسيت انها صنعت من خراف مهضومة ! على حد قول (پول ڤاليري(٢٢) .

(٢١) المصدر نفسه ص ٦٢

(٢٢) هذه الاشارة تنبه الى قول (پول ڤاليري) : « صُنع الأسد من خراف مهضومة » .

ومثل هذا الموقف ما ذهب اليه بعض المستشرقين الايطاليين ، الذين استبعدوا ان يكون دانتي قد تأثر بالاسلام ، لأن هذا ، في رأيهم ، ينقص من عبقريته .

وهذا ، في اعتقادي ، خطأ لأن تيارات الفكر العالمية لا تذهب العبقرية ، ولا الأصالة ، عند الادباء الكبار ، ولدينا امثلة كثار على ما نقول ، فهناك اكثر من ثلاثين كاتبا قد تناولوا بعد (سوفوكل) اسطورة اوديب ، وكل اولئك أبرزها بشكل يختلف عن الآخر ، ولم يقل احد من النقاد ان (اندريه جيد) فقد اصالته عندما احتذى عملاق التراجيديا اليونانية (سوفوكل) .

ب/ اصداء لبلاثيوس : ارماندو تروني ، دانتي ومحمد ١٩٤٨م

ـ الفكر الرئيسة ـ

نعرض في هذا الفصل للفكر الرئيسة التي تضمّنها كتاب المستشرق (ارماندو تروني) :

١ ـ ان الفكرة التي شاعت في القرون الوسطى عن النبيّ محمد كانت تعتبره مسيحيا بل مرشحا

لعرش القديس (سان پيير) ـ وهي فكرة تحتمل الرفض والبطلان . وهذه ليست غير محاولة يائسة قدّمها النقاد ، محاولين ان يفسروا موقف دانتي من (محمد) ذاك الموقف الذي عكس رأي القرون الوسطى في اوربا .

٢ ـ لم تكن الدراسات الخاصة بالاسلام مشرّفة في زمن دانتي ، فمن دون التحدث عن وظيفة القرآن التوحيدية التي خلقت اللغة القومية للشعوب الاسلامية ، كما كان لزاما على الكوميديا الالهية ان تعلى مكانة اللهجة الفلورنسية ، وتجعلها ذات شأن ، فمن غير المنكور ، وغير المشكوك فيه بانّ تنبؤ النبي (محمد) ودينه الذي جاء به نجحا في إبعاد الشعوب الاسلامية عن الوثنية ، مقرّبين اياهم من الاله الحقّ ، إله رحيم وطيب، كما نستطيع ان نقراه في فاتحة كل سورة .

٣ ـ يتحدث المؤلف عن قوة شخصية النبيّ (محمد) ، وعلوّ مكانته في قريش ، ولا يخفى المؤلف عطفه على النبيّ (محمد) واعجابه بشخصيّته الفذة . ويردّ المؤلف من خلال ذلك على (دانتي) بان ايمان النبي (محمد) الطيّب كان يلتزم بتوحيد المسيحية في اطار اصلاحه الدينيّ ، معتبرا اثيوبيا المسيحية أحسن ملجأ لانصاره .

٤ ــ يبيّن المؤلف ان مسار الكوميديا لم يكن غير الرحلة التي جاءت بها قصة المعراج المحمديّة ، وهنا نجد المؤلف يؤيد آراء المستعرب الاسباني (بلاثيوس) بخصوص هذه القضية .

ويعطي المؤلف عديدا من المشابهات التي توجد بين قصة المعراج والكوميديا الالهية لم نرد أن نتوقف عندها لانها نفس المشابهات التي عرضها (اندريه بللور) كما وضّحنا خلاصتها في فصل سابق من بحثنا هذا .

٥ ــ في الصفحة العاشرة والحادية عشرة يشرح المؤلف خصائص الادب الصوفي في الاسلام ، وما يقابله في المسيحية في موضوع الحب الالهي .

٦ ــ وفي ختام البحث يلخص المؤلف فكرته حول الموضوع قائلا :

« انه منذ الفترة التي توفي فيها محمد سنة ٦٣٢ م الى ١٢٦٥ م مولد دانتي ، هناك فترة بارزة من القطيعة السياسية الملحوظة بين الغرب والاسلام تبدأ بالضبط سنة ١٠٦٦ م وتنتهي بالحروب الصليبية .

وعندما نفكر بالصفة الانتقامية للعصور الوسطى ، ولدانتي خصوصا ، معتبرين حالة الافكار لدى الغربيين إزاء المسلمين بعد مائتي سنة من

الصراع ، غير المنتصر دائما ، فيمكننا بيسر ان نوضح سبب فكرة دانتي عن محمد ، الفكرة التي ثبتها في النشيد الثامن والعشرين من (الجحيم) .

ج ــ اضواء جديدة عن « دانتي » والاسلام لـ (فرانسسكو گابريلّي) .

في سنة ١٩٥٠ ، اسهم المستشرق الايطالي (فرانسسكو گابريلّي) في المناقشات التي دارت بين الباحثين بصدد المسألة التي اثارها المستعرب الاسباني (ميكيل آثين بلاثيوس) وهي مسألة العلاقة بين قصيدة (الكوميديا الالهية) لدانتي والمصادر الشرقية الاسلامية التي قسمت الباحثين الى صفين ، فريق يسند راي (بلاثيوس) في استقاء دانتي مواد قصيدته من قصة المعراج ومصادر شرقية اخرى ، وفريق يرى رايا مخالفا .

والمستشرق الايطالي (فرانسسكو گابريلّي) تناول هذا الموضوع ببحث نشره في مجلة (نووفا انتولوجيا) دارسا القضية بروح موضوعية عميقة متناولا آراء عدد من المستشرقين الايطاليين وغيرهم، والدارس لبحثه يجد انه يقف الى جانب راي (بلاثيوس) في ثبوت تأثر دانتي بالمصادر الشرقية الاسلامية .

وها نحن نعـرض راي (گابريلّي) مقتطفين النقاط الرئيسة منه، بعد ترجمتنا لها من الفرنسية:
يرى المستشرق الايطالي (گابريلّي) انه قد حصل رد فعل عنيف مـن جانب المستشـرقين والنقاد الايطاليين بعد ظهور كتاب المسـتعرب الاسـباني (بلاثيوس) وما حدث ، هـو ان الايطاليين شعروا بان كرامتهم قد اهينت لانهم يعتقدون اعتقادا وطنيا باصالة شاعرهم الكبير ..

وان كان (دانتي) مدينا لـ (ابن عربي) كما يعتقد ذلك (بلاثيوس) فهذا التأثر في ميدان آخر غير تسبيحاته الالهية .. ودانتي شاعرا لا يمكن مواخذته باستثناء وجهة النظر الجمالية .

هل كان (دانتي) يعرف اللغة العربية كي يمكنه معرفة المواد التي حدت بـ (پلاثيوس) أن يقارن بها قصيدة (دانتي) ؟ . هل عرف (دانتي) العالم العربي الاسلامي معرفة تامة ؟ وكيف استطاع معرفة مؤلفات (ابن عربي الغامضة ومؤلفات (ابي العلاء المعرّي) ؟

هل هناك دليل على ان هاتيك المؤلفات ، او اي كتاب آخر عن قصة المعراج قد ترجمت الى اللغات الغربية ؟

يجيب (بلاثيوس) بان (دانتي) كان يعرف

العربية بعض المعرفة . ولكن ، نحن المستشرقين نعلم بأنّه يجب أن تكون هنا معرفة كثيرة غير جزئية لفك عقد مؤلفات المعري وابن عربي ، ملاحظين في مؤلفات (دانتي) اهتماما خاصا بالتاريخ والثقافة الاسلامية . ومحتملين ، وان لم يبرهن على ذلك بعد ، بان (دانتي) كان على صلة مع نصوص المعراج الاسلامية عبر بعض الترجمات التي شاءت المصادفة ان توجد في (توسكان) من قبل (برونتو لاتيني) عائدا من مهمته عام ١٢٦٠ م لدى الملك الفونسو الحكيم . اما وسيلة انتقال الرؤيا الاسلامية لما وراء القبر الى دانتي فظلت غامضة . انها الخاتم الناقص من السلسلة التي تم فكها قطعة قطعة بنفاذ روحي ومذهب لا يضارع بين اسبانيا العربية ـ اليهودية ـ المسيحية في القرن الثالث عشر ، وبين ايطاليا في القرن الرابع عشر .

ومنذ الآن ، وبعد ثلاثين سنة من المساجلة ، فان الخاتم الناقص من السلسلة قد اكتشف من جانبها ، فقد نشر بالاشهر الاخيرة الترجمة اللاتينية والفرنسية لنص عربي خاص بقصة المعراج التي ثبتت معرفتها في ايطاليا بالقرن الرابع عشر ، وهذا النص يلقي ضوءا جديدا في مسألة دانتي والاسلام .

ان قصة (المعراج) رأت النور في قصر الملك (الفونسـو الحكيم) ملك صـقلية ، بمبادرة من

(الفونسو الحكيم) نفسه ، فترجم (ابراهام) بأمره ، قصة (المعراج) قبل سنة ١٢٦٤ م بقليل ، عن العربية الى اللغة (القشتالية) ، وترجم (بونافنتورا) استنادا الى ترجمة (ابراهام) قصة (المعراج) الى اللاتينية والفرنسية التي حفظت احداهما بين مخطوطات (اوكسفورد) والاخرى في مخطوطات (باريس) و (الفاتيكان) والتي نشرت تباعا من قبل (انريكو تشيرويللي) في ايطاليا ، ومن (جوزيه مينوس سنديتو) في اسبانيا واستنادا الى (تشيروللي) فان (San Pedro Pascual) استفاد من ترجمة (ابراهام) لقصة (المعراج في ملخصه الواسع لرحلة (محمد) لما وراء القبر (Sobre la seta ma proulctana) الذي القى (بلاثيوس) نظرة عليه كمصدر محتمل مباشر لدانتي .

ان المخطوطات الثلاثة المعروفة آنذاك بنسخ (بونافنتورا) كلها منذ بداية القرن الرابع عشر ترينا كيف ان Liber Scalae أي قصة (المعراج)لم تفتأ ان تجاوزت جبال البيوينيه .

اما معرفة هذا الكتاب في ايطاليا ، ان كان تاريخ الترجمة هو ١٢٦٤ ، فتجعلنا في غنى عن تتبع اثر (برونتولاتيني) الذي كانت مهمته في قصر الفونسو العاشر سابقة باربع سنوات ، وهناك

شاهدان واضحان لكاتبين ايطاليين احدهما يلخص قصة المعراج تلخيصا مستفيضا ، ويريانا ان هذه القصة عرفت في منتصف القرن الرابع عشر ، ثم في نهاية الخامس عشر .

ولقد سبق لنا معرفة الكتاب الاعتذاري للفرنسيكاني (روبيرتو كراسيدو) الذي عاش في عصر الاسرة الاوروغونية في نابولي يذكر لنا في كتابه (مرآة الايمان) ملخصا لكتاب اسمه : (Helmaerich اي قصة المعراج المحمدية .

ويروي لنا الشاعر (Fagio degli uberti) التوسكاني وكان قريبا جدا من (دانتي) في المكان والزمان ، حوالي سنة ١٣٥٠ م في قصيدته Di Hamoudo من جملة ما يرويه ، يروى لنا وصفا للجنة الاسلامية وكتاب المعراج (انه فضل « تشيروللي » الذي اشار الى الفقرة المهمة : انظر ص ٥٢ البيت ٣)

وهكذا فان السلسلة قد فككت .

ان اوربا الغربية وايطاليا في القرن الرابع عشر كان لديها ترجمة واسعة امينة مفصلة للرؤيا الاسلامية لما وراء القبر .. ترجمة كان كل انسان يستطيع قراءتها ، دون ان يعرف كلمة عربية ، في

الاسبانية والفرنسية ، او اللاتينية . ومن المؤكد ان (Fagio) قراها وبان صداها في قصيدته الرديئة التاريخية الاسطورية ، بل كان تقليد (دانتي) لها واضحا .

وان كان جاره الكبير وانموذجه لم يشر الى تلك الترجمة فهل يمكننا ان ننكر بان عين (دانتي) قد وقعت على كتاب (المعراج) ؟ احتمال يوحي به تشابه الدلائل ، وقدر من التشابهات النوعية بوسيلة من الانتقال تحققت تاريخيا منذ الآن .

والآن يسأل المستشرق (گابريلّي) السؤال التالي :

كيف يمكن لنا ان نقيّم هذا الاحتمال ، وقد سبق له ان اصبح مؤكدا على وجه التقريب بان قصة المعراج الاسلامية قد عرفها مؤلف (الكوميديا الالهية))

اية نتائج تتيح القربى بين هذا المصدر الشرقي وبين قصيدة (دانتي) ؟ اني اكرر بأن الجانب الجمالي المحض هو خارج نطاقنا ، ولكن يوجد الى جانب التقدير الجمالي المحض مسألة العلاقة السيكولوجية ، الاخلاقية الثقافية التي في داخلها لا يكون التقريب بين النصين مشروعا وحسب ، بل ملائما والزاميا ..

وهذه الصلة تبدو اليوم اكثر احتمالا بين قصة المعراج الاسلامي ، ومحتوى الرؤيا الدانتية (نتكلم من وجهة النظر الجمالية) فأية دلالة ، واية حدود كانت لها ، اية ردود فعل نوعية والى كم تحقق تأثيرها في خلق القصيدة ؟

هل نستطيع ان نتكلم عن اشتقاق امين ، مادي ، ميكانيكي تقريبا ، عن نغمة وقيمة متساوية ان لم يكن حديثنا جماليا ، بتأثير قاطع للنص العربي على رؤية الشاعر الايطالي ؟

وهذا الشكل الاكثر عمقا ، الاكثر حساسية في القضية ، قد واجهه واحد من العلماء والناشرين لكتاب المعراج هو (مينوز) الذي يرى : ان الرباط بين (المعراج) و (الكوميديا) هو ـ بسهولة ـ علاقة انموذج ومستنسخ . ولكن نسخة محسنة ، مزينة ، روحانية ، مع انها دائما مباشرة وجديدة ، لا يمكن فهمها دون ما سبق ذكره.

وبعبارة اخرى فان وجود كتاب (المعراج) وتحولاته المبرهن عليها في محيط (دانتي) يكفي لاقامة اعتماد مباشر للقصيدة على المعراج بصورة اوتوماتيكية تكاد تكون ميكانيكية ـ في سلسلة طويلة من التشابه التي سبق لـ (اثين بلايثوس) في وقته، ان فهرسها : تماثل في البناء ، في المفهوم الاخلاقي

واللاهوتي ، في الصور والمراحل في هندسة ثلاثة عوالم فيما وراء الارض ، في نظـام الآلام بلذائذ الفردوس الارضي .. وسلسلة (بلاثيوس) غير ذات نقاش بالنسبة للمستشرق الاسباني (مينوز) فيما يخص القيمة الصافية للتشابهات والاعتمادات ، كان ينقص « خاتم » فقط هـو الدليل على المسار التاريخي للانتقال وهذا قد وجد مع كتاب (المعراج)

ومن الناحية التاريخية ففقرة (محمد) في الفصل الثامن والعشرين من الجحيم قليلة الاهمية ، وهي لا تنفصل عن الصورة التقليدية الحاقدة التي نسبوها الى (محمد) في القرون الوسطى باوربا .

وفي المؤلفات العقائدية لدانتي عبر (سانت البيرتوماكنو) و (سانت توماسو) تكون غالبا نادرة ومثل الفلاسفة كالغزالي ، وابن سينا ، وابن رشد.

لقد عرف (دانتي) (كتاب المعراج) ومنذ الان فهو امر محتمل جدا . فما الذي اعطاه من ايحاء عام وتأثيرات خاصة ؟

ان (تشيروللي) يجيب عن هـذا السؤال بتحفظ شديد . ومن المؤكد ان ليس ذلك احتراسا منه للمتخصصين بدانتي ، لكن تجاه الحقيقة التي مازال البرهان عليها ممكنا ، فهو يفكر قبل كل شيء بأن الرؤيا الاسلامية يمكن أن تكون في نظر دانتي

حاثا نهائيا لمعارضة النص الاسلامي المقدس المفترض بقصيدة مسيحية عن الرحلة الى ما وراء القبر ، محتوية على حقيقة الايمان ، والظفر بالفن بدليل جـد عظيم للململة الدينية ، وللتصورات الخلابة للجنة والنار في الاسلام ، من دون أن ننسى لحظة واحدة ، مع ذلك ، بان هـذا القسـم الرئيس يسلك في خلق القصـيدة « حياته الجـديدة » La vie Nouvelle كتاب آخر لدانتي – والحب المتحول والرغبة في ان يقول عن « بياتريس » مالم يقل احد مثله عنها . وكتأثير عام ، يمكننا ان نقرّب من الرؤيا الاسلامية ملامح الدليل المفسرة للمسائل وللشكوك (فرجيل وبياتريس) مع دانتي ، مثل جبرائيل مع محمد) ، ثم المسائل الدقيقة المألوفة لعلم الاكوان ، واللون المحلي للغة التخاطب الغربية لافلاطون ونمرود ، التي تذكرنا بالعبارات العربية المقتطفة في الترجمات الرومانية لكتاب المعراج . وفي حالة النسـر الدانتي في سـماء (جبيتر) حيث تندمج الدوافع الاولى الكلاسيكية والانجيلية المعروفة كثيرا مع الديك الملائكي ، في الرؤيا الاسـلامية ، المستقر في الارض السابعة ، ولكنه صامد في القمة قرب عرش الله ، الذي يسبح بعظمته . وهكذا فان العروج الى السماء (ساتورن) يمتلك بداهـة ، ايحاءه الاول في المعراج الانجيلي ليعقوب من دون ان نقدر ابعاد تأثير المعراج المحمدي . ويستنتج

(گابريلّي) بأن هنالك منافسة بين التأثير الاسلامي وصور من مصادر اخرى يهودية مثلا .

ويبين (تشروللي) بان دوافع الايحاءات هذه وتفاصيل الرواية التي تقودنا الى المنابع العربية دخلت الى الكوميديا بدافع مثالي ، هـو الدافع المسيحي .

ان القضيـة واضحة ميسـرة اليوم ، فان النصوص الفامضة المترجمة عن اللغة العربية ترجمة رديئة ، لابي العلاء المعري ، ولابن عربي ، هـذه النصوص لم تبلغ مرأى (دانتي) بصورة مباشرة ، بل كانت بالتأكيد في محيطه الثقافي الذي تنفس فيه . لقد وصل نتاج من الادب العربي الشعبي الى الغرب بصورة اثيرة وتعليمية معا ، عن طريق فضول الملك (الفونسو الحكيم) وطريق هذه الصلة قـد شخص الان تشخيصا جيدا .

واليوم تبدو مبادرة (بلاثيوس) لنا مؤكدة بصورة لامعة متميزة ، حيث يبدو فيها الـدور الحاسم الذي لعبته قصة المعراج الاسلامية في اعظم قصيدة مسيحية .

البابّ الثـانى

الكوميديا الالـهية في المصادر العربية الحديثـة

ـ اولا ـ

المؤيدون لفكرة تأثر دانتي بالمصادر العربية :

١ ـ الباحثة عفـاف بيضون في : « بين المعري ودانتي » .

تقسم عفـاف بيضون بحثها الذي صدر عام ١٩٤٧ الى اربعة اقسام :

أ ـ حول الرسالة والكوميديا .

ب ـ اثر الرسالة في الكوميديا .

جـ ـ الناحية الخيالية في المرحلتين

د ـ شخصية المعري ودانتي مـن خـلال المرحلتين .

ان ما يهمنا في هذا البحث بالدرجة الاولى هـو القسم الثاني اي : اثر رسـالة الغفـران في في الكوميديا حيث يبرز رأي الباحثة في التأثر الذي خلّفه الادب العربي في دانتي ، اما الاقسام الاخرى الثلاثة ففيها شرح لموقف كلا الطرفين مما يدخله في عداد الموازنة النقدية الجمالية .

اختلف الباحثـون في مسألة هذين الاثرين اللذين يفصل بينهما مئتان وثلاث وستون سـنة فيبدأ هذا الفصل بذكر الآراء التي اتخذها الدارسون عن هذا الموضوع ، بين مؤيد لتأثر دانتي بالمعري وبين معارض . فالاستاذ قسطاكي الحمصي يرى بأن « دانتي قد تأثر برؤيا يوحنا اللاهوتي والإنيـادة لفرجيل ، ومنهم من يوازن بين بعض الصـور في الحـالتين ، ويرجع بان دانتي تأثر فيهـا بالمعري كالمستعرب الاسباني (بلاثيوس)(٢٣) .

ان الباحثة بعد ان تؤكد تأثر المعرّي بالقرآن والحديث النبوي ، وخاصة بقصة المعراج تتساءل عن تأثر دانتي بها ولكنها قبل ان تخلص الى نتيجة معينة بهذا الصدد ، تعرض للموقف الثقافي في القرون الوسطى ، تلك التي كونت ثقافة (دانتي) فالحروب الصليبية قد قربت بين الشرق والغرب ، فتحت الطريق التجاري بينهما ، وفي اسـبانيا وايطاليا انتشرت العلوم العربيـة بكثرة ،حيث ان فكرة الاسلام عن العالم الثاني كانت موضـع اهتمـام اوربا(٢٤) .

والباحثة لا ترتاح الى رأي قسطاكي الحمصي

(٢٣) عفـاف بيضون : بين دانتي والمعري ، تموز ٩٤٧

(٢٤) المصدر نفسه ص ٧ ـ ٩

الآنف الذكر ـ وتشك فيه اذ انهم ينسون تمام النسيان مصدرين رئيسيين هما : « قصة المعراج » و « انييد فرجيل » . وهي لا تقر رأي « بلاثيوس » الذي يوازن بين بعض الصور الخيالية الرمزية لدى دانتي والمعرّي ففي رأيها ان الباحثين الذين ذهبوا مذهب (بلاثيوس) « لم يصيبوا كل الاصابة » .

يقول ميگيل آثين پلاثيوس ، في كتاب : (الاسلام والكوميديا الالهية) : « ان دانتي قد لقي قبل ان يصل الى الجحيم اسدا وذئبا وفهدا ، ثم انت اذا قرأت رسـالة الغفران رأيت ابن القارح يلتقي بأسد وذئبه قبل النار مباشرة »(٢٥) .

والباحثة بعد هذا لا تقر (بلاثيوس) على رأيه عن هاتيك الصورتين ، اذ ترجح ان دانتي ربما تأثر فيها ـ على حد رأي البعض ـ بارميا ـ في الاصحاح الخامس(٢٦) . ونحن نرى بان الباحثة ـ لحـد الآن ـ لم تخلص الى نتيجة واضحة ، بل تناقش آراء سابقيها مناقشة سطحية . ومن الواضح انها تستند في تساؤلاتها السابقة واللاحقة الى كتاب المستعرب (بلاثيوس) . اذ هي تعرض نماذج اخرى

(٢٥) المصدر السابق نفسه ص ٩

(٢٦) لم نجد في « أرميا ـ الاصحاح الخامس » ما ذكرتـه الباحثة .

من الصور الخياليـــة في رسالة المعري وكوميديا دانتي(٢٧) .

ولكننا نرى في نهاية القسم الثاني من بحثها تأييدا واضحا لرأي (بلاثيوس) : تقول الباحثة :

فاننا نرى ان دانتي قد تأثـــر بالمعـــري ، والاقتباس جليّ واضـــح ، اما كيف كان هـــذا الاقتباس ، فاننا نستطيع ان نعللّه قائلين : ان دانتي قـــد اطلع على رسالة الغفران خلال السماع كمـــا قـــد حصل معه فيما يتعلق بكثير من القطع الادبية الفرنسيـــة . اما من اين سمع عنهـــا ؟ فان هناك تعليلين اثنين :

اولا ــ ان عدد المعلمين الذين كانوا يدرسون اللغة العربية ويترجمون منها الى اللاتينية : كان كثيرا في المدارس الايطالية .

ثانيا ــ ان معلم دانتي (Brunotti Latini) كان قـــد ارسل كسفير لفلورنسا الى بلاط الفونسو الحكيم رئيس مدرسة المترجمين من اللغة العربية درس العلوم العربية في اسبانيا وعندما رجع الى ايطاليا الف كتابا تكلم فيـــه عن النبي العربي(٢٨)

(٢٧) المصـــدر نفسه ص ٩ ــ ١١

(٢٨) لعلّ الكتاب الذي تشير اليه الباحثة هو (الكنز) الذي يذكره دانتي في الجحيم .

ومعجزاته ، وليس من المعقول وهو الذي كان يهمه امر الرحلات السماوية والمعجزات الاسلامية ، ان تخفي عليه رسالة كرسالة الغفران ....

وبهذا يكون دانتي قـــد تأثر بقصة المعراج في هيكل رحلته وصورها التمثيلية وبرسالة الغفران في الروح العلائية القلقة الســـمحة ، وفي بعض المشاهد المساعدة له على ابداء آرائه .

لقد وجد دانتي في قصة المعراج بابا للصعود الى السماء ، ووجد في رسالة الغفران روحا علائية اضاء بها جـــو رحلته المملوءة بالمشقات(٢٩) .

ويبدو ان الباحثة عفـــاف بيضون لم تعتن ببحثها عناية جيـــدة ، فقد اطلعت على اطروحة المستعرب الاسباني (بلاثيوس) اطلاعا سريعا ، جعلهـــا في موقف متناقض فمرة تعارض آراءه ، واخرى تؤيدها ، كما انها لـــم تطلع على المساجلات التي دارت بين المستشرقين الاوربيين بصدد هذه المســـألة .

ب ــ دانتي اليغييري والكوميديا الإلهية .

يبّين الدكتـــور عمر فروخ رأيه في مســـألة العلاقة بين دانتي والمصادر العربية فيتأرجح بين

(٢٩) المصـــدر نفســـه ص ١١

موقفين اولهما ،ان دانتي متأثر برسالة الغفران ، وثانيهما تأثره بقصة المعراج باسلوب متميز بالطابع الانشائي ، تغلب عليه السرعة دون ذكر أيّ من المصادر العالمية او العربية التي تناولت هذه المسألة.

يقول : « لم يقترب دانتي من لزوميات المعري، ولكنه اهتمّ بكتابه المشهور « رسالة الغفران » وبنى عليه ملحمته المشهورة « الكوميديا الالهية »(٣٠) من دون ان يثبت الصلة التاريخية بين المعري ودانتي، مباشرة او بصورة غير مباشرة ويقول في موضع آخر:

« رسالة الغفران تنتزع من (دانتي) فضل السبق الى موضوعه »(٣١) .

ويقول : « مصادر الكوميديا الالهية اسلامية لا شك في ذلك مستمدة من القرآن الكريم في وصف اسراء الرسول الى بيت المقدس ، ومن وصف عروج الملائكة الى السماء ، ومن وصف الجنة والنار ثم هي مبنية على قصة المعراج وارتقاء الرسول الى السموات السبع ، وعلى بعض الادب الصوفي وخصوصا ماجاء في الفتوحات المكية لمحي الدين بن

(٣٠) د . عمر فروخ ، حكيم المعرة ص ١٢٠ ـ ١٢٥ دار الكشاف ١٩٤٨ .
(٣١) المصدر نفسه ص ١٢٠

عربي من ارتقائه الى الحضرة الالهية ، ومروره بالعوالم على ما تراه في مظانّه .. »(٣٢) .

ويبدو لنا ان د . عمر مطلع على آراء المستعرب الاسباني (بلاثيوس) من خلال النص اعلاه ، لكنه لم يشر الى ذلك ، وكأن حصيلة اكتشاف تأثر دانتي بقصة المعراج ، وابن عربي هي من تخريجاته .

ج ـ جلال مظهر في : « مآثر العرب على الحضارة الاوربية » سنة ١٩٦٠(٣٣) .

في هذا الكتاب ، يوضح الباحث جلال مظهر رأيه في مسألة تأثر دانتي بالمصادر العربية . وبحثه هو صدى « بلاثيوس » وتأييد له ، فيبدأ فصله الخاص بتأثر دانتي بالاسلام ، بان يلخص فكرة بلاثيوس ، تلك .

ثم يعرض موجزا عن ثقافة (بلاثيوس) ودراساته كمستعرب اسباني . ثم يلخص مقدمة الاستاذ (دوق البا) مبينا الاصداء العميقة التي خلفها كتاب المستعرب الاسباني في اوساط المستعربين

(٣٢) المصدر نفسه ص ١٢٢ .
(٣٣) جلال مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الاوربية ، الانجلو مصرية ـ القاهرة ١٩٦٠ .

والمستشرقين في ايطاليا والعالم . ومن بين الدانتيين الذين قرضّوا كتاب (بلاثيوس) هـو الاستاذ (بيوراجنا) ثم الاستاذ (بارودي) .

اما الاستاذ (نلينو) استاذ اللغة العربيه بجامعة روما ، فقد أكد عظم اهمية كتاب (بلاثيوس) وانه كان فتحا جديدا للدراسات الادبية في القرون الوسطى « من حيث انه اثبت تسلسل الافكار الاسلامية الى المعتقدات الشعبية المسيحية الغربية .. ويؤكد العالم الالماني **(دردريك بل)** ان (بلاثيوس) احدث هزة فكرية فيما يتعلق بدراسة دانتي واعطى صورة جديدة حقا . واخيرا يقرر العالم الفرنسي : « بول فان تيكن » في مجلة الادب المقارن : ان كتاب « بلاثيوس » موضوعي جدي ، واضح ومنسق ، غزير في مادته ، وسوف يظل في الطليعة باعتباره احدى المحاولات الجريئة المثمرة لفتح اتجاهات فكرية جديدة في تاريخ الادب الاوروبي » .

والفائدة التي يقدمها هذا البحث للدراسات الادبية هو انه اضاف صوتا جديدا الى جانب اكتشاف « بلاثيوس » مستندا الى عدة علماء متخصصين .

د ـ د . محمد غينمي هلال ، ومسألة تأثر دانتي بالمصادر الاسلامية .

يعقد د . محمد غنيمي هلال خمس صفحات لتبيان الاثر الذي خلفته المصادر الاسلامية في الكوميديا الالهية ، فبعد ان يوضح ان دانتي « اقتفى اثر (فرجيل) في « الانيادة » في جنسها ، ووصف الرحلة الى العالم الآخر ، وان « دانتي » كان اصيلا في وصف عالم العصور الوسطى الذي عاش فيه ،وفي رمزيته العميقة المتعددة النواحي..» بعد كل هذا نجده يؤكد بأن « دانتي » قد تأثر في « الكوميديا الالهية » بمصادر عربية .. ثم يشير الى اهمية الدراسات التي تناولت هذا الموضوع في اوربا وامريكا .

ويقدم لنا الدكتور هلال عرضا تاريخيا لموجز هذه البحوث ، فيبدأ بالمستعرب الاسباني « ميگيل آثين بلاثيوس » .

والذي يهمنا هنا ـ بعد ان لخصنا رأي (بلاثيوس) في القسم الاول من هذا البحث ان نوضح آراء « هلال » في المسألة ، ومبلغ مابها من اصالة .

يستند « هلال » الى النتائج التي توصل اليها « اندريه بللّور » حين يعرض لاصل فكرة

المعراج ، وعلاقتها بحكاية الاسـراء ، والمعراج كما جاءت موجزة في القرآن ، ثم زيد عليها شرح كثير من جانب شراح القرآن ومفسريه . والنقطة الجديرة بالاشارة اليها هي ذكره للكاتب الفرنسي « لويس جيتيه » الذي نشر مقالا في جريدة «لوموند »(٣٤) بعنوان (عودة الى المصـادر العربيـة للكوميديا الالهيـة) .

وهـذا المقال لـم نعثر عليـه حـين تابعنا موضوعنا . والجديد في هـذا البحث ان هـذا الكاتب يثمن كتاب (بلاثيوس) ويصفه بانه الكتاب الوحيد الذي قدمنا خطوة في التعرف على الشاعر « دانتي »(٣٥) .

ومن الاعتراضات التي قدمت على «بلاثيوس»، راي المستشرق الايطالي « گابريلّي » Gabrielli الذي لا يجد في التشابه الذي اشار اليه «بلاثيوس» بين الكوميديا الالهية وبين قصة الاسراء والمعراج ، والمصادر العربية الاخرى غير تشابه سطحي ،وبان دانتي لم يكن يعرف العربية حتى يطلّع على ذلك

(٣٤) "Le monde", 4 Janvier 1951, un article intitulé Du nouveau sur les sources **arabes de la Divine Comédie.**

(٣٥) **هلال ، الادب المقارن ط٣ ، ١٩٦١ ص ١٥٣ .**

كله . ويميل (د . هلال) الى ان يجد في راي (گابريلّي) هذا دعامة قوية لمعارضي « بلاثيوس ».

والغريب في موقف (د . هلال) من راى « گابريلّي » انه فهمه فهما مبتورا وعكس المراد . ولقد شرحنا في الفقرة (ج) من القسم الاول من هذا البحث راى (گابريلّي) الـذي يختـلف كل الاختلاف مع ما تصوره (د . هلال) اذ نقدر ان نجـد فيـه موقفا مسـاندا كل الاسـناد لراي (بلاثيوس) . ثم ينقل (د . هلال) راي (اندريه بلسور) الذي اشرنا اليه في الفقرة (أ) من القسم الاول من البحث ـ دون ان يذكر المصدر ، في ان « بلاثيوس » لم يستطع ان يحدد الطريق التاريخي الذي تأثر في دانتي بتلك المصادر تحديدا قاطعا .

يرجع الفضـل الى (د . هلال) في ازالة الشبهات امام الباحثين حين اشار الى البحث الذي قدمه المستشرق الايطالي « تشروبللي » بعنوان : (كتاب المعراج ـ ومسألة المصـدر العربي الاسباني للكوميديا الالهية) والكتاب الذي قدمه في هـذا الموضوع المستشرق الاسباني (مونوس سندينو) الذي عنوانه (معراج محمد) . ونشر هذان الكتابان سنة ١٩٤٩ والشيء الجديد بنظر (د.هلال) ان هذين الكتابين قد اكتشـفا مصـدر (دانتي) في

مخطوطة اصلها عربي ، وموضوعها معراج الرسول وهذه النتيجة جاءت بالرغم من ان احد المستشرقين لم يتصل في معرفتها بالآخر .

وقد اشرنا الى ذلك في القسم الاول من بحثنا الذي اعتمدنا فيه على رأي « الباحث » (بلوشيه).

والنقاط التي يؤكد فيها (د . هلال) تأثر دانتي بالعرب هي خلاصة هذين البحثين في « ان دانتي كان كثير الاطلاع على ما يتاح له من جميع الثقافات الاخرى ، وغير ممكن الا يطلع متبحر شره الى المعرفة مثله على ما ترجم في اوربا من حضارة الاسلام في العصور الوسطى ، وقد كانت هي الحضارة المعاصرة ذات التفوق والسيطرة على العقول والممالك معا ، ومن انّه بقي العدو اللدود للاسلام . لان اخلاصه لعقيدته كان مسيطرا عليه ولانه يمثل في ذلك عقلية العصور الوسطى والحروب الصليبية ، فانه يذكر ما يؤكد تقديره للفلسفة الاسلامية وفلاسفتها ، فقد انزل (ابن سينا) و (ابن رشد) مع الحكماء الذين ساعدوا على تقدم الفكر الانساني ، ولكنهم حرموا نعمة العقيدة الصحيحة في رأيه » .

واستنادا الى المخطوطين اللتين اكتشفهما كل من (تشرويللي و (مونيوس سندينو) في الاسراء

والمعراج يتجلى تأثر « دانتي » بالادب الاسلامي تأثرا لا مجال لادنى شك فيه ، بحيث لا يمكن تفسيره بالصداقة او توارد الخواطر .

ثم يورد (د . هلال) امثلة من ملحمة دانتي مطابقة لما وجد في مخطوطتي « اكسفورد » و « المكتبة الاهلية بباريس « اللتين اكتشفهما « تشيرويللي » و « مونيوس سنديو »(٣٦) .

هـ ـ كتاب التوهم للمحاسبي ، اول كوميديا الهية(٣٧) .

تناول الدكتور كامل الشيبيّ في مقال بهذا العنوان ، الكلام عن رسالة الغفران وبانها « مفخرة من مفاخر الادب ـ العربي في كل عصوره » وكيف ان الكتّاب « اعجبوا بهذا الاثر فجعلوه اساسا نسجوا على منواله ، مثل دانتي الايطالي في نظمه للكوميديا الالهية ، وان كان رأيهم في ذلك غير مجمع عليه » .

ويعتمد الاستاذ في قوله ذاك على مقدمة (حسن عثمان) مترجم القسم الاول من الكوميديا

(٣٦) د . غنيمي هلال : الادب المقارن ط ٣ ، ٩٦٢ الانكلو مصرية ص ١٥٢ ـ ١٥٧ .

(٣٧) الاديب العراقي ج٣ سنة ١٩٦١ .

الالهية المطبوع بدار المعارف بمصر عام ١٩٥٩ . وعلى مقدمة (امين ابو شعر) في تلخيصه لجحيم دانتي المطبوع سنة ١٩٣٨ ثم رسالة الغفران تحقيق الدكتورة بنت الشاطيء المطبوعة بمصر عام ١٩٥٤ . حيث تذكر بنت الشاطيء ان تكون صلة بين مؤلف ابي العلاء والكوميديا الإلهية لدانتي .

ثم يعود الشيبي الى رسالة الغفران فيوضح الاساس الذي بنيت عليه الا وهو « رسالة تلقاها ابو العلاء من ابن القارح احد معاصريه من الادباء الاسماعيليين تطرق فيها الى الادب والادباء فاجاب عنها المعري باخرى اثنى في بدايتها على رسالة الكاتب ودعا له دعاء جرّه الى استطراد سعى به الى الجنان والنزول الى النيران » . « وتناول في روايته لرحلة ابن القارح المتخيلة الى الآخرة شعر من صادفهم من الشعراء في الموضعين . وتطرق الى وصف الجنة والنار » .

ويلخص الكاتب بعد ذلك باقتضاب ماهية كتاب (الكوميديا الالهية) لدانتي التي الفها على اساس شعري فريد يقوم على أن يكون كلّ بيت من ابياتها ثلاثيا .. وقد دارت الكوميديا حول « معراج » دام سبعة ايام طاف الشاعر خلالها الجحيم والمطهر والفردوس . وكان غرض الشاعر من الرحلة البحث عن حبيبته بياتريس التي ماتت .

ولفي الشاعر هناك من لفي من الشعراء . فقدحهم ونقدهم كما فعل ابن شهيد والمعري من قبل .. » .

ثم يأتي الكاتب الى موضوع مقاله الرئيس فينبه الى « ان صوفيا قديما طرق موضوع الكوميديا الالهية في القرن الثالث للهجرة ـ التاسع للميلاد . ذلك هو الحارث بن أسد العنزي المحاسبي » . وقد اعتمد الكاتب في الحديث عن كتب المحاسبي . ومن استقى منه من الصوفية على مقدمة المستشرق آربري لكتاب (التوهم) المطبوع بمصر عام ١٩٣٧ .

ويقدم لنا الكاتب شرحا بعد ذلك لكتاب التوهم الذي « كتب ايام كان المتصوفة مازالوا زهادا يحاولون جهدهم ان يؤسسوا مدرستهم على اساس المنطق الروحي هي مدرسة بغداد التي اسسها المحاسبي وشقيق البلخي . والجنيد البغدادي . وقد جعلت هذه المدرسة التصوف منهجا للحياة يرفض الانشواء تحت لواء مدرسة من مدارس الكلام . ويأبى الاستغراق في الثقافة الفلسفية التي جعلت تؤتي اكلها باستقرارها اساسا للمفكرين المسلمين الذين حاولوا ان يجعلوا ايمانهم معللا . يحاربوا التسليمية التي صارت مرضة لخطر داهم بظهور الزنادقة المشككين والمتفلسفين

القائلين بقدم العالم .. وبهذا نهض المحاسبي الى عرض فلسفته الروحيـــة على اســـماع انصـــاره الباحثين عن الراحة النفسية ..

« لقد كتب المحاسبي كتابا يعالج فيه القلق الذي يساور المسلم على مستقبله في الحياة الاخرى فاراد ان يضيء بين يدي الناس صورة كاملة لما سيعانونه او يتمتعون به بعد الموت على رأي الصوفية فيكون على بينة مما هو مقبلون عليه اذا انضموا الى التصوف وهذا يعني أن المحاسبي تناول قصة الحساب والجنة والنار على اساس كلامي ابرز فيه خلاف الصوفية لاصحاب المذاهب الاخرى » .

والكتاب مؤلف من عديد من الفقرات تبدأ بكلمة « توهم » التي تعني في ذهن المحاسبي «تخيل» فكل فقرة تبدأ «فتوهم نفسك في نزع الموت، وكربه وغصصه .. وقد بدأ الملك يجذب روحك .. » و « توهم نفسك حين استطار قلبك فرحا وسرورا او ملىء حزنا وعبرة .. و « توهم جوابك باليقين أو بالتحيّر وتوهم اقبال الملكين عليك .. » وهكذا .

هذا هو باقتضاب مقال الدكتور الشيبي عن كتاب التوهم للمحاسبي . ان المقال في حد ذاته طريف ، ولكن استدراكاتنا ومؤخذاتنا عليه توجزها في ان الكاتب لم يخلص الى رأي ثابت في المنابع

التي استقى منها كل من ابى شهيد وابي العلاء المعري ، ثم دانتي الايطالي . لهذا نجد ضروريا الاشارة الى ذلك بصورة واضحة ، لاسيما وان الموضوع الذي طرقه الكاتب له صلة وثيقة بفرع مهم من فروع التاريخ الادبي، الا وهو الادب المقارن.

لقد اغفل الكاتب ذكر قصة المعراج المحمدية ، تلك القصـــة التي اتخذت اساسا لها بعض الايات القرآنية « سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله من آياتنا انه هو السميع البصير » فكانت منبعا لكل المعراجات الروحية التي الفها المتصوفة على اختلافهم وغيرهم مثـل المحاسبي في كتاب التوهم ـ وابن عربي في ايحاءات مكة ، وابن شـهيد في التوابع والزوابع . وابي العلاء المعري في رسالة الغفران ودانتي الايطالي في الكوميديا الالهية .

و ـ على هامش الغفران ـ د . لويس عـوض سنة ١٩٦٤

ان الذي يعنينا من بحث الدكتور لويس عوض هـو فصل » الكوميديا الالهية ـ الجحيم » الذي يشمل الصفحات ١٣٩ ـ ١٦٠ .

يبدأ هذا الفصل في كشف الحلقة المفقودة في مسألة العلاقة بين الكوميديا الالهيـة والمصـادر

الاسلامية ، بالنص على « نشر العالم الاسباني (خوزيه مونيوث سنديو) عام ١٩٤٩ مخطوطات ثلاثة لقصة المعراج مترجمة الى الاسبانية واللاتينية والفرنسية في عهد الفونسو العاشر الشهير بالفونسو الحكيم ملك كاستيا (قشتالة) باسبانيا (١٢٥٢ - ١٢٨٤)(٣٨) .

اما تفاصيل الحديث عن هذه المخطوطات فالدكتور لويس عوض لم يزد عما جاءنا به د . محمد غنيمي هلال في الموضوع نفسه ، ولكنه يزيد على ذلك انه قد اتيح له ان يقارن الترجمتين اللاتينية والفرنسية القديمة على اشهر النصوص العربية لقصة المعراج ـ فوجد انهما لم ينقلا عن نسخة ابن عباس ولا عما ورد في صحيح البخاري ، ولا عما ورد في صحيح مسلم ، والتفاسير الكبرى ، فيفترض د . لويس عوض انها مترجمة عن رواية عربية ضائعة لقصة المعراج شائعة في الاندلس في القرن الثالث عشر »(٣٩) .

ويطرح (د . لويس عوض) السؤال التالي :

« هل اعتمد (دانتي) في الكوميديا الالهية على ما تعلمه من قصة المعراج وحدها ، او انه كان

(٣٨) على هامش الغفران ص ١٣٩ سنة ٩٦٤

(٣٩) المصدر نفسه ص ١٤١ .

على علم ايضا برسالة الغفران ؟ » (٤٠) ، وهو مقتنع تماما بان (دانتي) تأثر بقصة المعراج اولا ثم يرجح ان رسالة الغفران للمعري كانت في متناول دانتي قراها عن ترجمة لاتينية ضائعة ، ترجيحه هذا « بان اوجه الشبه بينها وبين (الكوميديا الالهية) اوضح مما يمكن ان ينسب الى محض المصادفة او توارد الخواطر بين الشعراء »(٤١) .

ثم يلخص (د . لويس عوض) مطاف دانتي وفرجيل في الجحيم ، ثم يستنتج ما يلي :

١ ـ يتضح من وصف دانتي لطبقات الجحيم التسع التي تنتهي عند مركز الارض انه لم يأخذ هذا الوصف من التراث المسيحي المألوف في تصوير الجحيم ولكن من قصة المعراج في التراث الاسلامي، اعتمادا على النص الاندلسي المترجم لقصة المعراج .

ولا يوضح (د . لويس عوض) اين وجد هذا النص الاندلسي ؟ ولأي مؤلف والمرجح لدينا انه يشير اشارة غامضة الى « الفتوحات المكية » لابن عربي ، وهذا موطن رئيس استند اليه (بلاثيوس) في تتبع مصادر دانتي الاسلامية .

(٤٠) المصدر نفسه ص ١٤١ .

(٤١) المصدر نفسه ص ١٤٢ .

« وتقسيم الارضين الى سبع ارضين مثل تقسيم السموات الى سموات سبع ثابت في التنزيل الحكيم ، وفي ابن عباس الذي ذكر في حديث المعراج ان مكان الجحيم في الارض السابعة »(٤٢) .

وهذا القول لم يحدّد (د . لويس عوض) من اي مصدر استقاه ، فهو مأخوذ من كتاب (بلاثيوس) الذي ذكرنا تلخيصه في الفقرة (أ) من الباب الاول ، عن شرح الباحث الفرنسي (اندريه بللّسور) لهذه المسألة .

والاختلاف بين دانتي والمصدر الاسلامي ، هو ان دانتي جعل تقسيمه تساعيا بدل التقسيم السباعي .

٢ ـ « اخذ دانتي من التراث الاسلامي فكرة تصنيف المذنبين في مختلف طبقات الجحيم بنسبة فظاعة شرورهم »(٤٢) .

٣ ـ ليس في قصة المعراج في اي نص من نصوصها ذكر لاشخاص محددين بالذات في الجنة فيما خلا بعض الأنبياء والملائكة المعروفين بأسمائهم فهؤلاء نجدهم في النعيم معينين باشخاص محددين

(٤٢) المصدر نفسه ص ١٥٣ .

(٤٣) المصدر نفسه ص ١٥٤ .

بالذات ممن عرفهم صاحب الرؤيا في الدنيا أو سمع باخبارهم واعمالهم فكرة نجدها قوام « رسالة الغفران » وقوام « الكوميديا الالهية » معا ، وهذا ما يوحي بان (دانتي) قد اطّلع على صيغة ما من كتاب المعري مترجمة او ملخصة في احدى اللغات الاوربية .

ثم يسهب (د . لويس عوض) في اعطاء النماذج المتشابهة بين اثرى دانتي والمعري لاسناد رأيه .

ز ـ « اثر الاسلام بدانتي » . عبدالرحمن بدوي

هذا البحث فصل من كتاب « دور العرب في تكوين الفكر الاوربي » . يشمل الصفحات ٦٣ ـ ٨٤ . عرض (د . بدوي) في مقدمة هذا الفصل الأثر الذي تركه خطاب « بلاثيوس » في الاكاديمية الملكية الاسبانية في جلسة ٢٦ يناير سنة ٩١٩ معلنا « ان الشاعر الايطالي » « دانتي » قد تأثر بالاسلام تأثرا عميقا واسع المدى يتغلغل حتى في تفاصيل تصويره للجحيم والجنة . اذ تبين ان مشابهات وثيقة بين ما ورد في الكتب الاسلامية في معراج محمد وما ورد في رسالة الغفران للمعري ، وبعض كتب محي‌الدين بن عربي من ناحية وبين ماورد في الكوميديا الالهية . وكان الدليل الذي قدمه « بلاثيوس » للرد على خصومه من الباحثين عامة ،

والايطاليين خاصة هو « رحلة برنو لاتيني » استاذ دانتي وصديقه ، الى اسبانيا سنة ١٢١٠ لمّا كان سفيرا من قبل بلدية فلورنسة لدى بلاط الملك الفونسو العاشر المعروف بالفونسو الحكيم »(٤٤) .

ولم يظهر الدليل الواضح الا عندما نشر الباحث الايطالي انريكو تشيروللي الترجمة اللاتينية والفرنسية لقصة « المعراج » الذي ترجمه ابراهام من اللغة العربية الى اللغة الاسبانية من اجل الفونسو الحكيم ملك قشتالة وليون (الذي حكم من سنة ١٢٥٢ ـ ١٢٨٤) وعن هذه الترجمة الاسبانية القشتالية نقله (بونافنتورا داسينا) الى اللغتين اللاتينية والفرنسية ..

وقد نشر (تشرويللي) الترجمتين الفرنسية واللاتينية فقط عن نسختين احداهما في مكتبة لوديني باكسفورد ، والثانية في المكتبة الاهلية بباريس ثم اضاف الى الترجمتين اللتين وضعتا في صحيفتين متقابلتين الشواهد الدالة على معرفة وانتشار كتاب المعراج هذا في الآداب الاوربية حتى القرن الخامس عشر . وفي القسم الثاني من النشرة جمع النصوص

(٤٤) د . عبدالرحمن بدوي ، دور العرب في تكوين الفكر الاوربي ص ٦٤ سنة ١٩٦٥ .

ـ واغلبها لم ينشر من قبل ـ التي تتضمن معلومات عن الاخرويات الاسلامية في كتب المؤلفين الاوربيين من القرن التاسع حتى القرن الرابع عشر .

وقد توصل الى النتائج نفسها التي توصل اليها تشيروللي باحث اسباني في السنة نفسها اي سنة ١٩٤٩ هو (ح . مينوث سندينو) وقد تمت الترجمات الثلاث ، الاسبانية ، اللاتينية والفرنسية في سنة ١٢٦٤ م اي قبل ميلاد دانتي بسنة (ولد دانتي في سنة ١٢٦٥ وتوفي في رافنا في ١٤ سبتمبر ١٣٢١ »(٤٥) .

ويستنتج د . بدوي من تحقيقات تشيروللي بان « كتاب المعراج كان منتشرا في فرنسا وايطاليا واسبانيا في العقود الاخيرة من القرن الثالث عشر والعقود الاولى من القرن الرابع عشر ، وهي الفترة التي عاش فيها دانتي »(٤٦) .

اما اوجه التشابه العامة بين كتاب « المعراج » وبين الكوميديا الالهية » لدانتي التي لخصها (د . بدوي) عن تشيروللي فهي كما يلي :

١ ـ ان الكتب الادبية التي عالجت موضوع

(٤٥) المصدر السابق ص ٦٥ ـ ٦٦ .

(٤٦) المصدر نفسه ص ٦٨

الرحلة الى الجنة والنار كان دور الدليل فيها بيان الطريق والمناظر . اما في كتاب « المعراج » فاننا نجد دور الدليل مختلفا عن ذلك فالدليل هو جبريل الذي يناقش ويحل كثيرا من الشكوك والمعضلات التي يشاهدها النبي محمد (ص) ليس فقط المتعلقة بترتيب العالم الاخر ايضا مسائل جزائية في التوحيد والفلك(٤٧) .

وهذا الدور الجديد الذي يقوم به الدليل ولا يوجد في كل الكتب الغربية التي موضوعها الرحلة الى العالم الاخر ، هو ايضا الجديد في « الكوميديا الالهية » فقد استفاد دانتي من صحبة الادلاء الثلاثة (فرجيل وبياتريس) من اجل اثارة استطرادات غريبة تتناول اسئلة من التوحيد والفلك ، وشكوكا تثار ويحلها الدليل ، فالتشابه هنا بين كتاب « المعراج » و « الكوميديا الالهية » تشابه واضح كل الوضوح .

ب ـ هناك عبارات عربية في نفس الترجمة الفرنسية واللاتينية لكتاب المعراج ترنّ غريبة في الاذن الغربية ، ويشابهها تماما ما صنعه « دانتي » فيما نسبه الى بلوتو (الجحيم) النشيد السابع البيت (١) ونمرود الجحيم « النشيد الحادي

(٤٧) المصدر نفسه ص ٦٨ ـ ٦٩

والثلاثون ، البيت رقم ٦٧ من عبارات بلغة غير مفهومة ، اقترح البعض انها مأخوذة من لهجات عبرية ، وقال البعض الاخر : انها عربية وهي ظاهرة غريبة جدا في الكوميديا الالهية »(٤٨) .

ج ـ تشابه ثالث نبه اليه (بلاثيوس) انظر (الاخرويات الاسلامية في الكوميديا الالهية ط ٢ ص ٥٠ ـ ٥٣ وهو التشابه بين الديك في « جنة » دانتي وبين ديك الجنة الاسلامية ، وهذا التشابه اوضح في كتاب « المعراج » ص ٦٩ . صحيح ان النسر يلعب دورا في سفر حزقيال (اصحاح ١٧ : ٣) وسفر اشعيا (اصحاح ٤٠ : ٣١) وانجيل متى (اصحاح ٢٤ : ٢٨) ولكنه ليس الدور الذي يفرده دانتى هنا للديك في الاناشيد ١٨ ـ ٢٠ من « الجنة » في الكوميديا الالية ، اعني دور التغني بمديح الرب والتسبيح بمحمد ، . وهو نفس الدور الذي يقوم به الديك الابيض والاخضر الذي ينادي ديوك الارض كي « يؤذن لصلاة الفجر » في كتاب المعراج »(٤٩) .

لقد عرفنا من دراستنا لآراء (بلاثيوس) ان من بين المصادر الاسلامية التي تأثر بها دانتي في

(٤٨) المصدر نفسه ص ٧٠ .
(٤٩) المصدر نفسه ص ٧٠ـ٧١ .

الكوميديا الالهية هي مؤلفات الفيلسوف الاندلسي « ابن عربي » وفيما يلي رأي المستشرق الايطالي (كارلو الفونسو نللّينو في مجلة الدراسات الشرقية — — (سنة ١٩١٩ — ١٩٢١) ص ٨١٦ - ٨١٧ — مجموع كتابات نليّنو المنشورة وغير المنشورة، روما سنة ١٩٤٠ (ج٢ ص٤٥٠ — ٤٥١) : « ان الامر الذي أخذه النقاد على آثين بلاثيوس هو انه لم يعرف حتى الآن ان كتب ابن عربي قد ترجمت الى اية لغة اوربية في عصر دانتي .. اللهم الا اذا كان دانتي قد عرف مؤلفات ابن عربي بواسطة صديق له يعرف العربية ، لكن افتراض وجود هذا الصديق امر مستبعد تاريخيا . ولهذا استبعد نللّينو ان يكون قد وقع تأثير مباشر من ابن عربي في دانتي » .

ولمن يريد مزيدا من التفاصيل من التشابهات فليرجع الى كتاب د . بدوي : « دور العرب في تكوين الفكر الاوربي »(٥٠) .

لقد وجدنا في اثناء دراستنا لمسألة تأثر دانتي بالمصادر الشرقية ان خصومه استبعدوا ان يكون دانتي على علم واسع بالمؤلفات الاسلامية كي يصح تأثره بها . وهنا يرد تشيروولي عليهم بقوله :

(٥٠) المصدر نفسه ص ٦٨ — ٨١

« ان اوربا الغربية في العصر الوسيط .. كانت على علم بالروايات الاخروية الاسلامية ... وينبغي ان ننوه بما بدأه الملك الفونسو العاشر الحكيم ملك قشتالة ، الذي امر بترجمة « كتاب المعراج » ترجمة كاملة الى اللغة القشتالية ، (الاسبانية) واللاتينية والفرنسية .. وهكذا عرف الغرب تصورات المسلمين للجنة والنار حوالي سنة ١٢٦٠م بفضل ابراهام الحكيم ، وبونافننتورا داسيينا » .

ويخلص د . بدوي بعد ذلك الشرح الطويل لرأي تشيروللي في المسألة المطروحة امامه الى انه : « بفضل نشر « كتاب المعراج » والنصوص المتعلقة بالروايات الاسلامية عن الآخرة مما ترجم الى الاسبانية والفرنسية واللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر تأيد الفرض الرائع الذي افترضه (بلاثيوس) وايده بشواهد اخرى ، واصبح من الثابت الان ان دانتي شاعر اوربا الكبير قد تأثر الى مدى بعيد عميق وهو يؤلف « الكوميديا الالهية » بالاسلام والتصورات الاسلامية للاخرة »(٥١) .

لقد ثبت عند د . بدوي ان دانتي قد تأثر بالاسلام من خلال ما رأينا من الشرح المفصل لهذه القضية ، وهو ان لم ينس مبادرة (بلاثيوس)

(٥١) المصدر نفسه ص ٨٤ .

الكبيرة في توضيح دور كتاب المعراج فانه شأن اغلب الباحثين لهذه المسألة قد تجاهل سبق البحاثة الفرنسي (أ.بلوشيه) لـ (بلاثيوس) ، (بلوشيه) الذي قدمنا عرضا موجزا كافيا لاطروحته التي ثبّت خلالها انه أول من أشار الى تأثر دانتي بقصة المعراج المحمدية ، في كتابه الموسوم : المصادر الشرقية الكوميديا الالهية المنشور عام ١٩٠١ م اي قبل طرح (بلاثيوس) للمسألة بثمانية عشر عاما .

ح ــ د . بنت الشاطىء في : الغفران(٥٢) سنة ١٩٥٠

تفرد د.بنت الشاطيء في كتابها : الغفران فصلاً خاصّاً بـ « دانتي والاسلام » ، فتمهد له بنبذة تاريخية عرضت فيها هذه المسألة في الادب العربي الحديث تقول الدكتورة بنت الشاطىء : « في عام ١٩٠٤ ، ظهرت ترجمة البستاني لالياذه هوميروس وفيها يقول: (وان من احسن ملاحم المولدين ملحمة نثرية جمع فيها صاحبها شتيت المعاني واوغل في التصور حتى سبق دانتي الشاعر الايطالي ، وملتن الانجليزي الى بعض تخيلاتها ، الا وهي رسالة الغفران لابي العلاء المعري » .

وتنقل د . بنت الشاطىء رأي جرجي

(٥٢) د . بنت الشاطىء ، الغفران ص ٣١٨ ــ ٣٤٠ سنة ١٩٥٠.

زيدان(٥٣) في « ان ابا العلاء المعري تخيل رجلا صعد الى السماء ووصف ما شاهده هناك ، كما فعل دانتي شاعر الطليان في الرواية الالهية ، وما فعله ملتن الانجليزي في (ضياع الفردوس لكن ابا العلاء المعري سبقهما ببضعة قرون .. » .

وتمضي الدكتورة بنت الشاطيء فتقول :

« ومن هنا بدات المسألة تدخل في دورها الخطير ، لكنها ــ حتى ذلك الحين لم تكن تعدو عبارات مرتجلة ولمحات عارضة الى ان ظهر كتاب ميكيل آثين بلاثيوس » .

يرد الكوميديا الالهية الى عناصر اسلامية منها رسالة الغفران، في بحث علمي مفرد متخصص.

وقد أخذ دانتي المكان الاول بعد بحث آثين بلاثيوس فقال الاستاذ محمد كرد علي : « ان اعمى المعرّة كان معلما لنابغة ايطاليا في الشعر والخيال »(٥٤) .

وتفصّل الدكتورة بنت الشاطيء رايها في كتاب « بلاثيوس » فتقول : « ان نظرية (بلاثيوس)

(٥٣) جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة العربية ج٢ ص٢٦٢
الغفران ص ٣١٢ .
(٥٤) الغفران ص ٣١٢ ــ ٣١٣ .

بالغة الخطورة نظرا لمكانة دانتي والكوميديا في الادب الغربي من ناحية ومنزلة بلاثيوس وكتابه من ناحية اخرى . فدانتي كما يقول « جوفاني كابوشيلا » هو المظهر العبقري الكامل لتطور القوى الحيوية التي دبت في الامة الايطالية وخلقتها خلقا جديدا .

والكوميديا هي اروع اثر في الادب المسيحي للعصور الوسطى . فحكم بلاثيوس — المستشرق الاسباني — بان العناصر الاسلامية اشتركت في تاليفها ، هزّ العالم الفكري في اوربا .

ثم تشرح الدكتورة بنت الشاطىء كيفية وصول بلاثيوس الى رايه « بانه بحث في فتوحات « ابن عربي » الصوفي « مرسيه » الكبير » وسلفه « ابن مسرّة » القرطبي . فوجد شبها قريبا بين الصورة العامة لصعود « دانتي وبياتريس » في آفاق السماء وبين تمثيل آخر لرحلة فلسفية صوفية في الفتوحات التي كتبها «ابن عربي المرسي» متاثرا بابن مسرة القرطبي ثم قاده البحث الى الشبه بين شطحات « ابن عربي » وبين المعراج .. ولم يكد يمضي في قراءة المعراج حتى راعته المرويات الاسلامية ، كنسخة اصلية اولى لتصور « دانتي » في قصيدته الكبرى »(٥٥) .

(٥٥) الغفران ص ٣٢٠ .

وتعتقد الدكتورة بنت الشاطىء ان في نظرية آنين بلاثيوس قدرا مسلما به ، فغير بعيد ان يكون « دانتي » قد تاثر بالافكار الاسلامية التي دخلت الى اوربا قبل عصره من بابين : صقلية في الشرق واسبانيا في الغرب ولا يخطىء قارىء (الكوميديا) خاصة في (الجحيم) ملامح مماثلة في حديث المعراج وغيره من المرويات الاسلامية .. وقد قال المستشرق نللينو في مجلة الدراسات الشرقية : « ان لكتاب آنين قيمته العظيمة من حيث دلالته على الاثر غير المشكوك فيه لآراء الاسلام عن الحياة الاخرة ، في المعتقدات الشعبية المسيحية الغربية » . غير ان هذا يجب الا ينسينا ان من هذه القصة الاسلامية ما هو صدى تاثر انساني مصادره مختلفة . واذا ذكرنا انكار وجوه الصحابة ان يكون الرسول راى ربه بعينيه الباصرتين ، ادركنا ان هذا الوصف المتاخر لرحلة المعراج ، لم يخل من تاثر ليس من السهل انكاره »(٥٦) .

غير ان د . بنت الشاطىء بعد ان اقرت بالاثر غير المشكوك فيه لاراء الاسلام في المعتقدات الشعبية المسيحية الغربية ، وبعد ان اقرّت ايضا برجاحة تاثر دانتي بالافكار الاسلامية ، تعود فتنقض ما

(٥٦) الغفران ص ٣٢١ .

أقرته استنادا الى ان (بلاثيوس) قد اطلق نظريته تلك متأثرا بالفكرة المسبقة عن التأثر والتأثير .

اذ انّ (بلاثيوس) ، كما ترى د . بنت الشاطىء – « لم يوفق فيما حاول لانه دخل الموضوع مقتنعا بفكرته في التأثر والتأثير ، حريصا عليها »(٥٧) وانه « قد مضى متأثرا بتلك النزعة ومنعلا بعاطفة قومية »(٥٨) تتعلق بوطنه اسبانيا !

ثانيا – بعض المعارضين لفكرة تأثر (دانتي) بالمصادر الشرقية والاسلامية . عيسى الناعوري(٥٩)

يقصر عيسى الناعوري بحثه على تحقيق صحة العلاقة بين رسالة الغفران للمعرّي والكوميديا الالهية لدانتي ، ويرى ان الباحثين العرب الذين ايدوا المستعرب الاسباني (بلاثيوس) في دعواه بتأثير رسالة الغفران في الكوميديا الإلهية قد دفعهم التعصب من دون ان يقدموا حججا علمية منطقية على تلك الدعوى. فينبغي أن تكون الكوميديا الالهية قد تأثرت برسالة الغفران ، مسندا رأيه

(٥٧) ص٣٢٨ .
(٥٨) ص ٣٢٨ .
(٥٩) ادباء من الشرق والغرب (من الادب المقارن) منشورات عويدات – بيروت ٩٦٦ ط – اولي .

بما نقله من مقدمة الدكتور حسن عثمان مترجم الكوميديا الالهية الى اللغة العربية الذي يقول : « ان الصلة ضعيفة بين دانتي وابي العلاء ، لاختلاف الطريقة والمضمون في كل منهما » واذا كان في في الكوميديا اوجه شبه بما سبق دانتي من الافكار من عالم ما بعد الحياة ، فانها تختلف وتتميز ببنائها وتفصيلاتها ومضمونها وهدفها » .

ويتحمس الناعوري لرأي الاستاذ مصطفى عيآل ، حماسا يخرجه عن الجادة العلمية حيث يقدر بان « دانتي » لم يكن في حاجة الى التقليد والمحاكاة .. وانما ابدع كوميديته بخياله المحلّق ، وعبقريته التي وسمت النهضة الاوربية بميسمها الفذ، ولا سيما الكوميديا الالهية »(٦٠) .

لقد اقتصر عيسى الناعوري على جانب واحد من مسألة تأثر دانتي بالمصادر الشرقية ، الا وهو علاقة الكوميديا الالهية برسالة الغفران . ولم يأت بجديد في هذا الباب ، وانما كان في الجزء الاكبر من بحثه عائلا على الدكتورة بنت الشاطيء : أما علاقة دانتي بقصة المعراج المحمدية فلم يشر الى تاريخ هذه المسألة في البحوث العلمية ، سواء لدى الدارسين العرب ام لدى المستشرقين ، وهي

(٦٠) المصدر السابق ص ١١٤ – ١٢٢ .

النقطة التي تكاد تحظى باتفاق آراء الباحثين بعد اكتشاف مخطوطات المعراج من قبل المستشرق الاسباني (انديزو) عام ١٩٤٩ ومن قبل المستشرق الايطالي (تشروللي) في الوقت نفسه ، الذي يقول عنه وعن زملائه الايطاليين الذين ايدوا رأي (بلاثيوس) .

صحيح ان هناك بعض الايطاليين الذين اقتنعوا مع بلاثيوس بتأثر دانتي .. ببعض المصادر الاسلامية ، واهمهم المستشرق (انريكو تشروللي) والمستشرق (كارلو نالينو) ولكن هذا ايضا كان من قبيل الشكوك اكثر منه قبيل الاقتناع والاثبات الاكيدين ، والشكوك تظل دائما تفتقر الى الدليل الثابت »(٦١) .

أصحيح ما يدّعيه عيسى الناعوري من ان آراء بعض المستشرقين الايطاليين في مسألة تأثر دانتي بالمصادر الاسلامية مثل (تشيروللي) كانت من قبيل الشكوك ؟ التي يعوزها الدليل الاكيد الثابت ؟

ان الرجوع الى ابحاث الدارسين المستشرقين والعرب تظهر ان عيسى الناعوري لم يدرس القضية

(٦١) المصدر السابق ص ١١٥ ـ ١١٦ .

دراسة موضوعية وشاملة ، ويبدو انه لم يدرس الكوميديا الالهية وكتب دانتي الاخرى دراسة فاحصة تدله على مواطن التأثر بالمصادر الشرقية والاسلامية. ماذا يقول عن راي دانتي بمحمد ، وابن عمه علي ، والفلاسفة المسلمين مثل ابن سينا ، وابن رشد ، وابن مسرّة وغيرهم ؟ اهؤلاء ورد ذكرهم في مؤلفات دانتي عن طريق خيال الشاعر ، المحض ام نتيجة دراسة المصادر الاسلامية التي كانت متوفرة في عصره وبين يديه ؟ ثم ماذا يقول عيسى الناعوري في حديث (برنتولاتيني) معلم دانتي الحقيقي تاريخيا حين يشير الى دانتي من قعر الجحيم بقراءة كتابه : (الكنز) ، الكتاب الذي يحتوي على معلومات خاصة بالفكر الاسلامي . والحضارة الاسلامية ؟ أليست هذه دلائل ثابتة يستند اليها الادب المقارن الذي وسم كتابه به دون ان يدري ان منهج هذا الفرع الجليل هو من اصول التاريخ الادبي ؟

ثم ان اراد الاستزادة فليقرأ بعناية الفصل الخاص بهذه المسألة الذي ضمّنه الدكتور عبدالرحمن بدوي كتابه (دور العرب في تكوين الفكر الاوربي) لكي يجد ما توصل اليه المستشرق الايطالي (انريكو تشيروللي) من اثبات لتأثر دانتي بالمصادر الاسلامية ، وليقرأ بحث المستشرق الايطالي (گابريلّي) الذي يقول فيه :

« واليوم تبدو مبادرة (بلاثيوس) لنا مؤكدة، بصورة لامعة متميزة . حيث يبدو فيها الدور الحاسم الذي لعبته قصة المعراج الاسلامية في اعظم قصيدة مسيحية »(٦٢) .

الزهاوي وثورته في الجحيم ـ د . جميل سعيد .

يعقد د جميل سعيد في كتابه : (الزهاوي وثورته في الجحيم) الصادر سنة ١٩٦٨ فصلا عما قيل من صلة بين (المعري ودانتي وملتن .

ولا يفصل المؤلف شيئا في هذا الموضوع سوى نقل النصوص الخاصة به بدءا من البستاني مترجم الاليادة . مارا بجرجي زيدان ومنتهيا بالدكتورة بنت الشاطىء في كتابها (الغفران) الذي استقى هاتيك المعلومات منه . فلم يناقش النصوص التي نقلها . فكانت الصفحتان اللتان خصصهما لهذه المسالة فقيرتين .

(٦٢) انظر الفصل (ج) الذي شرحنا فيه آراء آسابريلي .

الباب الثالث

موقفنا من القضيـــة

١ ـ بعد عرضنا وتحليلنا لآراء المستشرقين الاوربيين ، والباحثين العرب لمسالة تاثر دانتي بالمصادر الاسلامية ، في الباب الاول والثاني من هذا البحث ، لا نستطيع الا ان نضم رأينا الى جانب من اثبتوا تاثر دانتي بالاسلام ، مثل (بلاثيوس) و (آسابريلي) و (آشيروللي) و (د . عبدالرحمن بدوي) ، ورائدهم في هذا الموضوع (بلوشيه) الذي كان له فضل السبق في تاكيد الدور الذي لعبته قصة المعراج المحمدية في تكوين قصيدة (دانتي) الكوميديا الالهية .

اما من عارض هذا الراي من باحثين اوربيين او عرب ، فنعتقد ان الاساس الذي انطلقوا منه في المعارضة هو اساس غير علمي ، مثل ما نجد لدى بعض الايطاليين المتخصصين بدانتي ، الذين دفعهم الى استبعاد تاثر دانتي بالاسلام ، لانه في اعتقادهم عبقري ذو اصالة . والاصالة ـ في راينا ـ لا تمحي اذا تبورت بعناصر اخرى لا سيما وان تاريخ مسالة تاثر دانتي بالاسلام اثبت بصورة لا تقبل الشك ان العصور الوسطى كانت مدينة للثقافة العربية الاسلامية بتكوين نظراتها ، وفلسفاتها . حيث نشطت حركة الترجمة في

صقلية ، وايطاليا ، واسبانيا في نقل تراث الثقافة العربية الاسلامية .

ولا مجال للشك في ان التعصب القومي لدى بعض الباحثين الايطاليين قد حرمهم رؤية الحقيقة، فابتعدوا عن المعيار العلمي في البحث ، جاهلين طبيعة العمل الابداعي نفسه ، واغلب الظن انهم انساقوا وراء هذا التعصب تأثراً بالأفكار العنصرية التي انتشرت في ايطاليا في الثلاثينات من هذا القرن خاصة ، بعد استفحال الافكار الفاشية .

ان العمل الابداعي لا ينبثق في جزيرة منعزلة وسط المحيط ، بل ضمن العلاقات الانسانية الممكنة التي ان أثبتها البحث تاريخيا أدّت فضلا كبيرا للعمل الابداعي الذي اشار الى ديناميته الشاعر الفرنسي (بول فاليرى) عندما قال :

(صنع الأسد من خرافٍ مهضومة) .

فعندما نؤكد تأثر دانتي بالمصادر الاسلامية لا نزعم ان دانتي سطرها جنبا الى جنب شأن النقلة من صغار المتأدبين ، لكنه وهو الشاعر الذي يعرف كيف يصنع مادته الفنية قد استوحى من هاتيك المصادر ما أهله لصياغة قصيدته الكبيرة التي اعتبرها (بلزاك) القنطرة الماثلة بين الشرق والغرب.

ان التأثر لا يمحو الاصالة بل يعمقها ، يغنيها

ويوسع آفاقها ، يقول المستعرب الاسباني (آثين بلاثيوس) :

« ومن البديهي ان اصالة عمل ادبي لا يجب ان تعتمد على طبيعة المصادر المقلدة ـ بفتح اللام المشددة ـ بل تعتمد على عدد كبير منها ، وتعتمد على الحرية التي بها يحول هاتيك المصادر ويجعلها شيئا خاصا به » .

وهذا هو التمثل ، تمثل المصادر بتأثير شخصية المبدع ، وهو ما قصده (بول فاليري) .

ويقول (بلاثيوس) ايضا :

« ونحن لا نعرف السبب في ان طاقة الابداع عند دانتي تكون ذات شأن قليل ، بسبب تقليده للمصادر الاسلامية ، في حين ان اعتبارها لا يقل عندما يقلد دانتي المصادر الكلاسيكية والانجيلية ».

ثم ماذا يقول المعارضون لتأثر دانتي بالفكر العربي الاسلامي حين يقرأون ما كتبه دانتي في مؤلفاته النثرية مثل (الحياة الجديدة) و (الوليمة)؟ يقول الباحث (بلوشيه) :

« ابان (باجيه توينى) بطريقة لا تقبل النقص ان دانتي قد تأثر بنظريات الفلك الاسلامية خلال عشر فقرات من كتابيه (الوليمة) و (الحياة

الجديدة) تلك النظريات التي عرفت في القرون الوسطى باسم (الفراكانو) ، وفي كتاب (الوليمة) يذكر دانتي عنوان احد هاتيك المصادر ، ويتحدث عن كوكب المريخ متأثرا بما نقله (البير الكبير) عن الفيلسوف العربي (ابن مسرة)(٦٣) .

ويقول دانتي نفسه في مؤلفه (الوليمة) :

« يقول ابن مسرّة ان L'allumement لهذه الابخرة بين الموت والحركة للملكوت ، لان هذه الاحداث تنجم من سيطرة المريخ »(٦٤) .

ويقول دانتي في المصدر نفسه :

« يتفق كل الفلاسفة بان الخلق الجوهري هو من صنع السماوات ، وهم يقررون ذلك بوسائل مختلفة ، فمنهم من يقول ، بالدوافع مثل افلاطون، وابن سينا ، والغزالي .. »(٦٥) « يقول محمد لدانتي : ينطلق عليّ امامي باكيا ، وقد فُلعت منه

(٦٣) أ . بلوشيه المصادر الشرقية للكوميديا الالهية ص ١٧٣ ـ ١٧٤ ، النسخة الفرنسية .
(٦٤) دانتي ، ص ٣٥٢ من اعمال دانتي الكاملة ط . بلياد . ١٩٦٨ النسخة الفرنسية .
(٦٥) المصدر نفسه ص ٣٤٧

الهامة حتى الذقن .. »(٦٦) اليست هذه اشارة الى مقتل الامام علي بن ابي طالب ؟

ويذكر دانتي بعض الاشهر العربية مثل « تشرين الاول الذي يقابله شهر اكتوبر بالنسبة لنا »(٦٧) في اثناء حديثه عن موت حبيبته بياتريس ويعلق دانتي على بعض آراء (ابن رشد) الفيلسوف العربي قائلا :

« إذن من الواضح ان الحد الاقصى المقترح لقوة الانسانية نفسها هو القوة او الفضيلة العاقلة لان هذه القوة لا يمكن ان تتلخص كاملة في العمل بوساطة رجل واحد او بوساطة جماعات خاصة متميزة راقية . فمن الضروري ان يسود التعدد الجنس البشري وبوساطته توضع القوة في مجرى العمل ، كما ان من الضروري تعدد الاشياء المولّدة حتى تكون كل القوة الكامنة في المادة الاولى في مجرى العمل دائما ، وبعبارة اخرى يستحسن الافتراض ان بها قوة مفصولة عن العمل ، وهذا مستحيل .

(٦٦) الجحيم ، النشيد ٢٨ ، ٣١ ـ ٣٤ .
(٦٧) الحياة الجديدة ، ٢٩ ، ص ٦٢ من المؤلفات الكاملة ط. بلياد ١٩٦٨ ، النسخة الفرنسية .

ويتفق (ابن رشد) في هذا الحكم في تعليقه على كتب الروح »(٦٨) .

كما يذكر دانتي النساء العربيات في (الاعراف) من كوميدياه الالهية(٦٩) .

(٦٨) الملكيـة /١ ص ٦٣٨ من المؤلفات الكاملة ط. بلياد ،

(٦٩) الاعراف النشيد ٢٣ ص ١٢٨٤ ١٢٨٤ من المؤلفات الكاملة ط. بلياد

ملحق رقم (١)

في الاصالة والتقليد

آنخل بلانثيوس

بدءا . ان الاصالة والقوة الخلاقة عند شاعر ما لا يجب ان تكون ابدا حقيقة مقررة او مبدأ مسبقا. لكنها نتيجة مستخلصة من الدراسة التحليلية لكل مصادرها المحتملة . دراسة تتيح فرز ما هو تقليدي . العناصر الذاتية او التي لا يمكن ان تفسرها نماذجها . وقبل ان نشك في المشابهات الاسلامية ـ الدانتية ـ فيجب ان نستخدمها معطيات لا يستغني عنها في الحكم او تقييم قوة الابداع عند دانتي ..

ومن البديهي ان اصالة عمل ادبي لايجب ان تعتمد على طبيعة المصادر المقلدة ـ بفتح اللام المشددة ـ بل تعتمد على عدد كبير قلّ او كثر منها ، وتعتمد على الحرية التي بها يحول المصادر ويجعلها شيئا خاصا به . ونحن لا نعرف السبب في ان طاقة الابداع عند دانتي ذات شأن قليل . بهذه الحرية نفسها ـ بسبب تقليده للمصادر الاسلامية ، على حين ان اعتبارها لا يقلّ عندما يقلد دانتي المصادر الكلاسيكية والانجيلية . واكثر

من ذلك لم نقل بأن تقليد المصادر الكلاسيكية أقل فضلا من الاخرى ، لانها تخص مصادر أكثر شعبية في العالم الغربي مما عليه المصادر الاسلامية .

٢ ـ ملاحظة وردت في صفحة ٣٩٤ من مقالة بلاثيوس التي نحن فيها ـ كتب لول في كتابه « بلانكيرا » .

« ذهب احد المبشرين الى بلاد البرابرة ، حيث شاهد عددا من البسطاء يتلون القرآن على المغاربة ويصفون لهم سعادة الجنة ـ قارن ربيرا ، اصول الفلسفة لـ « ريموند لول » ص ١٩٦ .

لقد ألح (گابريلّي) في دراسات نقدية متعددة على هذه الفرضية المفسّرة (بكسر السين المشددة) . . ان قصة المعراج وبعض العناصر المعراجية الاسلامية لها اصولها القديمة في معارج شرقية اخرى ، مسيحية ام يهودية ، ام فارسية ، ام هندية . . الخ . فليس من غير المحتمل في نظر هؤلاء النقاد ان يفترضوا بان هذه الاصول الشرقية القديمة قد انتقلت الى المعارج المسيحية الغربية قبل عصر دانتي ، دون ان تكون حاجة الى اللجوء لتقليد المصادر الاسلامية .

ان الاعتماد ، ولو جزئيا ، على المعراج الاسلامي قياسا الى النماذج الشرقية ليس مسألة منكورة . .

لكن هذه النماذج الشرقية لم تعرف في اوربا المسيحية في القرن التاسع عشر التطور الكبير لتاريخ الاديان ، على حين لا توجد أية اشارة تثبت بأنها كانت معروفة من قبل دانتي او سابقيه المسيحيين. ولقد أبرز (فان تيگن) هذه التناقضات الواضحة عند المتخصصين بدانتي ، مبعداً هكذا ، فرضية التقليدات المتشابهة .

وهذه الفرضية تنطلق من مبدأ يتمخض عن نتائج تناقضها الاحداث .

وهذا المبدأ هو التالي :

لا يجب ابدا ان نفسّر اصالة الثقافة الغربية لاوربا المسيحية بواسطة تقليد النماذج الاسلامية ، حين تكون هذه ، بدورها ، احتذاء للنماذج الشرقية الكلاسيكية . ومن هذا المبدأ ، في حالة قبوله ، ينتج مايلي :

ان المذاهب والنظريات الجديدة التي برزت فجأة ، في القرن الثالث عشر ، في اوربا المسيحية الغربية ، ذات الصلة بالعلوم الفلسفية ، والطبيعية، الطبّية والفلكية ، والرياضية لم تولد من تأثير الثقافة العربية ، بل من الاحتذاء المباشر للثقافة الكلاسيكية الاغريقية التي اشتقت منها ايضا الثقافة العربية ، لهذا فان هذه النتيجة المنطقية

القاطعة قد كذبّتها الاحداث . وليس من احد يجهل ، في الحقيقة ، ان عددا كبيرا من الافكار العلمية للفلاسفة الاغريقيين ، ارسطو وافلاطون وفلاسفة الافلاطونية الجديدة اصبحت تراث الفلاسفة المدرسيّين والفلاسفة المسيحيين في القرون الوسطى ، بعد ان نقلت اليهم بوساطة العرب ، الذين ترجمت آثارهم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي .. ، ونتيجة ذلك ، في هذه الحالة فان الاحداث تكذّب هذا المبدأ ، لان المبدأ خال من قيمة شاملة ، لانه لا يعتبر مبدأ .

ان الادب والعلم المسيحيين لاوربا في القرون الوسطى قد فقدا كل صلة بالثقافة الكلاسيكية حتّى بالثقافة المسيحية الشرقية ، ولقد قام العرب في عدة فروع ثقافية كوسطاء لنقل الثقافة الكلاسيكية ورفضنا لهذا الدور المتواضع ناسين الخدمة التي اسدوها للثقافة الاوربية هو امر غير عقلاني وغير عادل .

٢ ــ والفرضية الثانية التي تفسّر التشابهات الاسلامية ــ الدانتية تنكر كل تقليد وتقتصر على التوافق ، والتشابه في التطور الدانتي لكلا المعراجين . فالاسلام واوربا في القرون الوسطى هما ثقافتان تكونتا من عناصر ذات اصل مشترك ،

مشتقتان من نفس التقاليد المزدوجة ، الكلاسيكية والانجيلية .

وفضلا عن ذلك فان النفسية الانسانية هي بالاساس متماثلة : فبعض الموضوعات معروفة ومتصوَّرة (بفتح الواو المشدَّدة) بوسيلة متشابهة من قبل جميع البشر . وبالنتيجة فان التشابهات التي يقدمها المعراج الاسلامي والدانتي هي ليست مدينة الى اعتماد او تسلسل مأخوذ من التقليد ، بل هي مدينة الى التشابه المزدوج للنفسية والثقافة .

فان كانت هذه الفرضية واقعية فانها تحطم ــ بالاساس ــ كل المناهج العلمية ، التي تستعمل منذ اكثر من قرن ، بنجاح ، في تاريخ الافكار والفنون .

وبالنسبة لتاريخ الفنون خاصة ، يعمل الباحثون وفق منهج يستوحى من الفكرة المضادة ، اي : ان التشابهات الوفيرة ، النموذجية ، التي تلاحظ بين أثرين فنيين ، بين مدرستين ، بين اسلوبين ، تستخدم كأساس استقرائي كي يستنتج منها التسلسل او الاعتماد بواسطة الاتصال تقليدا ام تأثرا ، بصورة واعية اولا .

ان تاريخ الاديان ، واللغات ، والفلسفة ،

والادب ، يستوحي من نفس هذه الفكرة ويستعمل المنهج نفسه . ان تشابه النفسية والثقافة يمكن — دون ريب — ان يفسّر بعض التشابهات العامة المبهمة ، المقتصرة على عدد قليل — بين نظريتين فلسفيتين او بين اثرين فنيين ، لهما نفس الموضوع. لكن عندما تكون التشابهات متعددة ومتلاحمة او نموذجية فان من المتعذر — خلقيا — تفسيرها بالتطورات المتوازنة المستقلة .

واخيرا ، فسيكون غير ذي جدوى التذكير بان هذه الفرضية قد تجاوزها التيارات العلمية المؤكدة تماما في الابحاث الخاصة بالسلالات البشرية. فمدرسة تاريخ الحضارات ، التي نشأت في المانيا منذ حوالي عشرين سنة ، بفضل دراسات (كرابنر) و (انكرمان) و (ر.ب.نسمت) تحصل بالتدريج على تأييد المختصين ، وتطرد من ميدان العلم الفرضية التبسيطية في التماثل الجوهري للروح الانسانية ، وتطورها المتوازي لدى جميع البشر ، هذه الدراسات التي تنال الحظوة والانتشار حتى يومنا هذا .

فتفسير كل التشابهات على طريقة (باستيان) ومكملّيه في المجال الثقافي بالتماثل غير المتنوع للمفاهيم الاولية لدى البشرية ، هو من الآن متعذر وفق مبادى المدرسة المذكورة اعلاه .

ويجب ان نأمل بان تأثير علماء النفس مثل (جيمس) و (نيومان) وعلماء الاجتماع مثل (كرابنر) و (انكرمان) (اللذين يرفضان متفقين نظرية التوازي في علم النفس والثقافة) سيقنع المتخصصين بدانتي بالقيمة العلمية لفرضيتنا حول التقليد الاسلامي الذي يستند الى معايير ومناهج متماثلة .

ملحق رقم (٢)

قائمة بالمقالات والكتب المؤيدة والمعارضة لرأي المستعرب الاسباني (ميكيل آثين بلاثيوس)

١ ــ مقالة في مجلة « الصليب » ، (باريس ١٥ نيسان ١٩٢٠ بعنوان دانتي ومحمد. مؤيدة).

٢ ــ تعليق ضمن ملحق التايمس الادبي (لندن ١ تموز ١٩٢٠) معارض .

٣ ــ ارنولد (ت . و) استاذ اللغة العربية في جامعة لندن . مقالة في مجلة اللغة الحديثة (لندن ، تشرين الاول ٩١٩ عدد ٤) مؤيدة. ثلاث صفحات .

٤ ــ ارنو (ت . و) مقالة منشورة في المجلة المعاصرة (لندن آب ١٩٢٠) صارت بعد ذلك محاضرة لنفس المؤلف القاها في جامعة لندن (مايس ١٩٢١) بمناسبة الذكرى المئوية لميلاد دانتي . مؤيدة ، احدى عشرة صفحة .

٥ ــ بن شنب (م) استاذ جزائري ، مقالته بعنوان : مصادر اسلامية للكوميديا الالهية نشرت في المجلة الافريقية (الجزائر ١٩١٩ العدد ٣ ، ٤) احدى عشرة صفحة .

٦ ــ براوننك (آو) متخصص بابحاث دانتي ، مقالته : دانتي والاسلام نشرت في مجلة دبلن (لندن ١٩٢١ عدد تشرين الاول وتشرين الثاني وكانون الاول) مؤيدة . اربع عشرة صفحة .

٧ ــ كابيتون (أ) استاذ في مدرسة اللغات الشرقية بباريس ، مستشرق ، مقالته بعنوان : الكوميديا الالهية والاسلام . نشرت في مجلة تاريخ الاديان (باريس ١٩٢٠) مؤيدة ثمان وعشرون صفحة .

٨ ــ كاسوّ (ج) متخصص بالابحاث الاسبانية ، مقالته ، الاصول العربية لدانتي وباسكال في مجلة المعرفة (باريس تموز وآب ١٩٢١) مؤيدة عشر صفحات .

٩ ــ كمنك (أ . س) متخصص بابحاث دانتي مقالته : دانتي والغزالي . في ملحق التايمس الادبي (لندن آب ١٩٢١) مؤيدة .

١٠ــ كودفروا ديمومبين وفان تيكن ــ مقالة في مجلة الادب المقارن (باريس نيسان ــ حزيران ١٩٢٢) مؤيدة .

١١ــ گيّيوم (أ) ، استاذ في جامعة ديرهام في انگلترا . مستعرب مقالته بعنوان قصة

المعراج المحمدية في الكوميديا الالهية نشرت في المجلة اللاهوتية ، لندن ، حزيران (١٩٢١) مؤيدة الى نشرة منفصلة .

١٢ــ هوفيت (هـ) استاذ في جامعة باريس متخصص بابحاث دانتي في مجلة المدرسات الايطالية ، باريس كانون الاول ١٩٢٠ مقالة معارضة .

١٣ــ بوردان (ش . ب) متخصص بالابحاث الاسبانية . مقالة بعنوان الكوميديا الالهية ومصادرها الاسلامية ، بوستون ١٩٢١ ؛ مؤيدة ، خمس عشرة صفحة .

١٤ــ ماكدونالد (د . ب) مستشرق . مقاله بعنوان دانتي والمتصوفة المسلمون في / المجلة انيو ورك ٢١ حزيران ١٩١٩ مؤيدة صفحتان

١٥ــ ما[illegible] في كونيج نزفرنس، مستشرق فرنسي بعنوان / المدرسات الاسلامية في [illegible] في اسبانيا وانعكاسها على الكوميديا الالهية لدانتي ، مستلة من مجلة العالم الاسلامي باريس المجلة ٦ ــ ١٩١٩ بحث في مجلد معارض انشا ، اربعون صفحة .

ملحق رقم (٣)

معراج النبي صلى الله عليه وسلم

للامام ابن عباس

قال ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ص) قال كنت في بيت ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها واسمها فاخته وذلك ليلة الاثنين السابع والعشرين من رجب سنة ثمان من البعثة وكان عند فاطمة الزهراء رضي الله عنها وعمرها تسع سنين ولم تكن تزوجت بعلي رضي الله عنه لانه تزوجها بالمدينة المنورة واذا بالباب قد طرقه طارق فخرجت فاطمة لترى من بالباب فرات شخصا عليه الحلي والحلل وله جناحان اخضران قد سد بهما المشرق والمغرب وعلى راسه تاج مرصع بالدر والجوهر مكتوب على جبهته لا اله الا الله محمد رسول الله فقالت فاطمة ما تريد قال اريد محمدا فرجعت ودخلت على رسول الله (ص) وقالت يا ابت بالباب شخص قد هالني وافزعني ما رايت مثله ابدا قال لي اريد محمدا قال فخرج النبي (ص) فلما راه جبريل عليه السلام نادى : الصلاة والسلام عليك يا حبيب الحق ويا سيد الخلق قال فقلت يا اخي يا جبريل اوحي نزل ام وعد حضر ام امر حدث

قال يا حبيبي قم والبس ثيابك وسكن قلبك فانت في هذه الليلة تناجي ربك الذي لا تاخذه سنة ولا نوم . قال النبي (ص) فما سمعت كلام اخي جبريل عليه السلام نهضت فرحا مسرورا وسددت علي ثيابي قال النبي (ص) فخرجت الى الصحراء فاذا بالبراق قائما وجبريل يقوده واذا هو دابة تشبه الدواب فوق الحمار ودون البغل له وجه كوجه الادمي وجسده كجسد الفرس وهو دابه خير من الدنيا وما فيها عرفيا من اللؤلؤ الرطب منسوج بقضبان الياقوت يلمع بالنور واذانيا من الزمرد الاخضر وعيناها مثل كوكب دري يرقد ليا شعاع كشعاع الشمس تسهباء . بلقاء معجلة للالاف مشرفة اليمين عليها جل مرصع بالدر والجوهر لا يقدر على وصفها الا الله تعالى نفسيا كنفس ابن آدم قال النبي (ص) لما رايته البراق تعجبت منه قال جبريل تقدم ياحبيب الله واركب سنتقدمنه لاركبه فاضطرب كما تضطرب السمكة في الشبكة فقال له جبريل يا براق اسكن اما تستحي تفر من بين يدي سيد الخلق وحبيب الحق فوالذي خلقني وخلقك ما ركبك احد اكرم منه على الله تعالى فقال البراق قد ركبني ادم صفوة الله وابراهيم خليل الله قال جبريل يا براق هذا حبيب الله ورسول رب العالمين افضل من اهل السموات والارضين قبلته الكعبة ودينه الاسلام وكل الخلق يرجون شفاعته يوم القيامة

الجنة من يمينه والنار من يساره من صدقه دخل الجنة ومن كذبه دخل النار فقال البراق قل نصاحب الوجه الانور والجبين الازهر والخد الاحمر والحوض الكبير والشفاعة الكبرى ان يدخلني في شفاعته حتى امكنه من ظهري وبطا على نحري ويزداد بذلك فخري ويكون في القيامة ذخري . قال النبي صلى الله عليه وسلم انت في شفاعتي وانت معلقتي يوم القيامة قال فدنا مني فركبته فسار جاريا بين السماء والارض فناداني جبريل انزل يا حبيب الله هنا تصلي ركعتين قال فنزلت وصليت ركعتين وقلت لاخي جبريل لم امرتني بالصلاة ها هنا قال ياحبيب الله هذا وادي الشقيق ثم ركبت وسرنا ما شاء الله واذا بصائح عن يميني وهو يقول قف يامحمد علي قليلا فاني انصح لك ولامتك قال فسرت ولم التفت اليه وكان ذلك فضلا من الله تعالى ثم سرنا ما شاء الله لنا واذا بصائح عن شمالي وهو يقول قف يامحمد فاني انصح لك ولامتك قال فسرت ولم التفت اليه وكان ذلك فضلا من الله تعالى ثم سرنا ماشاء الله واذا انا بامراة ناشرة شعرها عليها من كل زينة خلقها الله تعالى من الحلل والجواهر والدر والياقوت قد اشرق حسنها وجمالها وهي تنادي وتقول يامحمد قف حتى اكلمك فاني انصح لك ولامتك فسرت ولم اقف وكان ذلك فضلا من الله عز وجل ثم سرنا واذا بصيحة عظيمة

عد اخذني منها رعب ثم سرنا فاذا نحن ببيت المقدس واذا عن يميني شاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الرائحة فلما راني اقبل وسلم عليّ وعانقته ثم غاب عني فقلت يا اخي ياجبريل اخبرني عن الصائح الذي ناداني في الطريق قال : الاول داعي النصارى لو اجبته لتنصرت امتك من بعدك واما الصائح الثاني فداعي اليهود لو اجبته لتهودت امتك من بعدك واما المراة الناشرة شعرها المتزينة بالحلي والحلل فتلك الدنيا لو اجبتها لاختارت امتك الدنيا على الاخرة واما التي سمعتها تصيح انك صخرة لها خمسمائة عام تهوى والساعة استقرت في جهنم فقلت يا اخي يا جبريل من هذا الشاب الذي سلم عليّ قال ياحبيب انه هذا دين الله عز وجل فان امتك يعيشون مزمنين ثم ان جبريل سبقني الى بيت المقدس فتبعته واذا هو قد اقبل ومعه ثلاثة اقداح في الاول لبن وفي الثاني خمر وفي الثالث ماء فقال لي اشرب ايهما شئت فاخذت اللبن فشربته الا قليلا فقال لي جبريل اخذت الفطر فلو اخذت الخمر لغوت امتك من بعدك ولو اخذت الماء لغرقت امتك من بعدك ولو شربت اللبن كله ما دخل احد من امتك النار قلت يا اخي رد عليّ القدح قال هيهات يامحمد قضي الامر وجف القلم بما هو كائن قلت كان ذلك في الكتاب مسطورا ثم ان جبريل عليه السلام اتى بي الى صخرة واذا

بالمعراج قد نصب من الصخرة الى عنان السماء فلم ار شيئا احسن من المعراج وهو مرقاة من الذهب ومرقاة من الفضة ومرقاة من الزبرجد ومرقاة من الياقوت الاحمر فضمني جبريل الى صدره والفني بجناحيه وقبل مابين عيني وقال : ارق يا محمد فصعدت انا وجبريل فنظار نظري من مقامات المتعبدين واذا بملائكة لا يحصى كثرتهم الا الله تعالى يسبحون الله تعالى لا يفترون . ورايت النجوم متعلقات كتعليق القناديل في المساجد اصغر ما يكون منها اكبر من جبل عظيم . ثم ارتقى بي السماء الدنيا في اسرع من طرفة عين وبينها وبين الارض خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك فطرق جبريل الباب فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بك وبمن معك فنعم المجيء ففتحوا لنا الباب ودخلناها فاذا هي سماء من دخان يقال لها الرفيعة واذا ليس فيها موضع قدم الا وعليه ملك اما راكع او ساجد ونظرت فاذا فيها نهران عظيمان مطردان مساء فقلت ما هذان النهران يا اخي ياجبريل قال هذا النيل والفرات عنصرهما اي اصلهما من الجنة واذا بنهر آخر وعليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضربت يدي فيه فاذا هو مسك اذفر فقلت ما هذا قال الكوثر الذي خباه الله لك فنظرت فاذا بملك عظيم الخلقة وهو راكب على فرس من نور وعليه

منه من نور وهو موكل بسبعين الف ملك مسومين بانواع الحلي والحلل بيد كل واحد منهم حربة من نور وهم جند الله تعالى فاذا عصى في الارض احد ينادون ان الله تعالى قد غضب على فلان فيغضبون عليه واذا استغفر العبد وتاب ينادون ان الله قد رضي عن فلان ابن فلان فيرضون عنه قلت يا اخي يا جبريل من هذا الملك العظيم قال عمدا اسماعيل خازن سماء الدنيا ادن منه وسلم عليه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وهنأني بالكرامة من ربي عز وجل وقال ابشر يا محمد فالخير كله فيك وفي امتك الى يوم القيامة قلت لربي الحمد والشكر ثم تقدمت امامي واذا بملك نصفه من ثلج ونصفه من نار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفيء النار له الف راس في كل راس الف الف وجه في كل وجه الف الف لسان يسبح الله تعالى بالف الف لغة لا تشبه بعضها بعضا ومن جملة تسبيحه يقول سبحان من الف بين الثلج والنار يامن الف بين الثلج والنار الف بين عبادك المؤمنين والملائكة تقول امين فعلمت من هذا يا اخي يا جبريل قال هذا الملك الموكل باكناف السموات وهو انتصح الملائكة لبني ادم لو اصطفت الملائكة صفوفا فقدمني جبريل فصليت بهم ركعتين على ملة ابراهيم الخليل ثم ارتفينا الى الثانية في اسرع من طرفة عين وبينها وبين سماء الدنيا خمسمائة عام وسمكها كذلك

فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا من معك قال محمد قالوا ارسل اليه قال نعم قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب ودخلناها فاذا هي سماء من حديد لا وصل فيها ولا فصل يقال لها الماهون ورايت من الملائكة ركبانا على خيول مسومة متقلدين بالسيوف بايديهم الحراب فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء جند من الملائكة خلقهم الله تعالى لنصرة الاسلام الى يوم القيامة . ورايت فيها شابين متشابهين فقلت من هذان يا اخي يا جبريل قال احدهما يحيى بن زكريا والاخر عيسى بن مريم عليهما السلام ادن منهما وسلم عليهما فدنوت منهما وسلمت عليهما فردا علي السلام اما عيسى فانه سبط الشعر جميل الوجه ابيض اللون مشرب بحمرة واما يحيى فرايت على وجهه اثر الخشوع فسلمت عليهما فردا علي السلام وهنأني بالكرامة من ربي وقالا لي ابشر يا محمد فان الخير فيك وفي امتك الى يوم القيامة فقلت لوجه ربي الحمد والشكر ثم قدمني جبريل عليه السلام وصليت بهما ركعتين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ارتفينا الى السماء الثالثة في اسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء الثانية خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب

فدخلناها فاذا هي سماء من نحاس يقال لها المزينة ورايت فيها ملائكة معهم الوية خضر فقلت من هؤلاء يا اخي ياجبريل قال هؤلاء ملائكة ليلة القدر وشهر رمضان يطلبون مجالس الذكر ومجالس الشهداء والجماعات ويسلمون على اهل صلاة الليل ورايت فيها شيخا وشابا قلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال داود وسليمان عليهما السلام ادن منهما وسلم عليهما فدنوت منهما وسلمت عليهما فردا علي السلام وهنائي بالكرامة من ربي وقالا لي ابشر يا محمد الخير فيك وفي امتك الى يوم القيامة ونظرت بين يديهما فاذا بغلام جالس على كرسي من نور وقد اشرق النور من وجهه وصورته كالقمر ليلة البدر قلت من هذا الشاب يا اخي يا جبريل قال هذا يوسف ابن يعقوب قد فضله الله بالحسن والجمال كما فضل القمر على سائر الكواكب فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وهنائي بالكرامة من ربي عز وجل وقال لي مرحبا بالاخ الصالح والنبي الناصح فاصطفت الملائكة صفوفا وقدمني جبريل فصليت بهم ركعتين على ملة ابراهيم الخليل عليه السلام ثم ارتقينا الى السماء الرابعة في اسرع من طرفة عين وبينها وبين السماء الثالثة خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك

ففتحوا لنا الباب ودخلناه واذا هي سماء من فضة بيضاء يقال لها الزاهرة رايت فيها من عجائب ربي عز وجل اصنافا من الملائكة ورايت رجلا عليه نور ساطع وله قلب خاشع فقلت من هذا يا اخي يا جبريل قال هو ذا اخوك ادريس رفعه الله مكانا عاليا ادن منه وسلم عليه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام واستغفر الله لي ولامتي ثم رايت ملكا عظيم الخلقة والمنظر قد بانت قدماه تخوم الارض السابعة ورأسه تحت العرش وهو جالس على كرسي من نور والملائكة بين يديه وعن يمينه وعن شماله ينتظرون امر الله عز وجل وعن يمينه لوح وعن شماله شجرة عظيمة الا انه لم يضحك ابدا فقلت يا اخي ياجبريل من هذا قال هادم اللذات ومفرق الجماعات ومخرب البيوت والدور ومعمر القبور ومييتم الاطفال ومرمل النساء ومفجع الاحباب ومفلق الابواب ومسود الاعتاب وخاطف الشباب هذا ملك الموت عزرائيل هو ومالك خازن النار لا يضحكان ابدا ادن منه وسلم عليه فدنوت منه وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقال له جبريل لم لم ترد السلام على سيد الخلق وحبيب الحق فلما سمع كلام جبريل وثب قائما ورد علي السلام وهنائي بالكرامة من ربي وقال لي ابشر يا محمد الخير فيك وفي امتك الى يوم القيامة فقلت يا اخي ياعزرائيل هذا مقامك قال نعم منذ خلقني ربي

الى قيام الساعة فقلت كيف تقبض الارواح وانت في مكانك هـذا قال ان ربي مكنني من ذلك وسخر لي من الملائكة خمسة الاف افرقهم في الارض فاذا بلغ العبد اجله استوفى رزقه وانقضت مدة حياته ارسلت له اربعين ملكا يعالجون روحه وينتزعونها من العروق والعصب واللحم والدم ويقبضونها من رؤوس اظافره حتى تصل الى الركب ثم يريحونه ساعة ثم يجذبونها الى السرة ثم يريحونه ساعة ثم يجذبونها الى الحلقوم فتقع في الغرغرة واتناولها كما تسل الشعرة من العجين فاذا انفصلت من الجسد جمدت العينان وشخصتا لانهما ينبعان الروح فاقبضها باحدى حربتي هاتين اذا بيده حربة من نور وحربة من سخط فالروح الطيبة يقبضها بحربة النور ويرسلها الى عليين والروح الخبيثة يقبضها بحربة السخط ويرسلها الى سجين وهي صخرة سوداء مدلهمة تحت الارض السابعة السفلى فيها ارواح الكفار والفجار قلت وكيف تعرف اذا حضر اجل العبد قال يا محمد ما من عبد الا وله في السماء بابان باب ينزل منه رزقه وباب يصعد اليه عمله وهذه الشجرة التي يسارى ما عليها ورقة الا وعليها اسم من بني آدم ذكورا واناثا فاذا قرب اجل الشخص اصفرت الورقة التي كتب عليها اسمه وتسقط على الباب الذي ينزل منه رزقه ويسود اسمه في اللوح فاعلم

انه مغبوض فانظر اليه نظرة يرتعد منها جسده ويتوعك قلبه من هيبتي فيقع في الفراش فارسل اليه من الملائكة يعالجون روحه وذلك قوله تعالى (حتى إذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون) يعني ملك الموت قلت يا اخي عزرائيل ارني صورتك التي خلقك الله عليها وتقبض فيها الارواح قال يا حبيبي لا تستطيع النظر اليها قال فقلت اقسمت عليك الا فعلت واذا النداء من العلي لا تخالف حبيبي محمدا فعند ذلك تجلى ملك الموت في الصورة التي يقبض فيها الارواح قال النبي (ص) فلما نظر ملك الموت الي وجدت الدنيا بين يديه كالدرهم بين يدي احدكم يقلبه كيف يشاء فارتعد قلبي وارتجف منه صدري فوضع جبريل يده على صدري فرجعت روحي الي وعقلي علي فقال جبريل يا محمد ما بعد القبر واشد منه الا ظلمة القبر ووحشته وسؤال منكر ونكير قال النبي (ص) فودعته وتقدمت امامي قليلا فاذا برجل صبيح الوجه غزير العقل فلما رآني ضحك مبتسما فقلت يا اخي يا جبريل من هـذا قال هـذا ابوك ابراهيم الخليل ادن منه وسلم عليه فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وهناني بالكرامة من ربي وقال مرحبا بالولد الصالح ابشر يا محمد فالخير كله فيك وفي امتك الى يوم القيامة وان اخاك جبريل يرفعك الى ربك ليجتبيك ويكرمك قلت ما قعودك هنا فقال

انظر الى اعمال اولاد آدم فما رايت اجمل ولا اكمل
ولا انور ولا ازهر ولا احسن ولا اذكى ولا اطهر
ممن يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فطاب
قلبي وحمدت ربي فقال جبريل تقدم وصلّ له
وبالملائكة فتقدمت وصليت بهم ركعتين ثم ارتقينا
الى السماء الخامسة في اسرع من طرفة عين وبينها
وبين السماء الرابعة خمسمائة عام وسمكها مثل
ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل
قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن
معك ففتحوا لنا الباب فدخلناها فاذا هي سماء
من الذهب الاحمر واسمها المنيرة ورايت فيها من
خلق الله عز وجل اصنافا من الملائكة ورايت ملكا
عظيما لو امره الله ان يبتلع السموات السبع
والارضين السبع دفعة لهان عليه لعظم خلقته وهو
ينادي سيدي ومولاي ما عرف قدرك من عصاك
سبحانك ما احلمك على خلقك ورايت بابا وعليه
سطران مكتوبان يزهران ويلمعان لا اله الا الله
محمد رسول الله فلما قرانهما سقط القفل وانفتح
الباب فنظرت فيه فاذا هو مشرق من السماء
الخامسة الى تخوم الارض السابعة السفلى واذا
بجهنم مظلمة ممزوجة بغضب الله ودخانها ساطع
واذا بملك عظيم الخلقة مرعب النظر ظاهر الغضب
شديد المراس بين عينيه عقدة لو اشرف بها على
اهل الارض لماتوا عن آخرهم وغارت منه البحار

وتفطرت منه الجبال . قال المؤلف رحمه الله تعالى :
« اللهم انا نسالك بحقك العظيم وبحق اسمك الكريم
ان لا ترينا وجه مالك خازن النار بقدرتك وحولك
يا ذا الجلال والاكرام قال النبي ﷺ قلت يا اخي
يا جبريل من هذا الذي اقشعر منه جلدي وارتعد
منه فؤادي قال يا حبيب الله هذا مالك خازن
النار خلقه الله من غضبه وسخطه ولم يزل منذ
خلقه الله وولاه جهنم لا يزداد الا غضبا على اعدائه.
هذا وملك الموت عزرائيل لا يضحكان ابدا ادنى منه
وسلم عليه فدنوت وسلمت عليه فلم يرد علي
السلام فقال له جبريل لم لم ترد السلام على
حبيب الله وسيد العالمين وهو اعز الخلق على الله
ونبي الرحمة فلما سمع مالك ذلك نهض قائما على
قدميه وقال الله الله العذر لك يا حبيب الله فقلت
له ارني جهنم فقال مالك ليس الامر لي إذا النداء
من العلي لا تخالف حبيبي محمدا فعند ذلك كشف
عنها الغطاء فاذا هي سوداء مظلمة ممتزجة
بغضب الله وقيل ان نار الدنيا لها ضياء لانها غسلت
في بحر القدرة سبعين مرة حتى صار لها شعاع
ونور ينتفع به فرايت سبعين الف بحر من غسلين
وسبعين الف بحر من غساق وسبعين الف بحر
من قطران وسبعين الف بحر من رصاص مذوب
على ساحل كل الف مدينة من نار في كل مدينة
الف قصر من نار في كل قصر سبعون الف تابوت

من نار في كل تابوت سبعون الف صندوق من نار في كل صندوق سبعون الف صنف من العذاب ورأيت فيها حيات كامثال النخل الطويل وعقارب كأمثال البغال ورأيت فيها سبعين الف بئر من الزمهرير ورأيت نساء باكيات محزونات ينادين فلا يجبن ويتضرعن فلا يرحمن فقلت من هؤلاء يا اخي جبريل قال هؤلاء اللواتي يتزين لغير ازواجهن ورأيت نساء وعليهم سراويل من قطران وفي اعناقهن السلاسل والاغلال فقلت من هؤلاء يا اخي جبريل قال هؤلاء المستخفات بازواجهن اللاتي تقول لزوجها ما اشنع وجهك وما اقبح شكلك وما انتن ريحك الم تعلم ان الذي خلقها وخلقه هو اله واحد ورأيت نساء قد احترقت وجوههن والسنتهن سائلات على صدورهن فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء اللواتي يقلن لازواجهن طلقني من غير سبب ورأيت نساء معلقات من شعورهن ويغلي دماغ رؤوسهن كغليان القدور فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء كن لا يغطين شعورهن من الرجال الاجانب ورأيت نساء معلقات بشعورهن ومكلبات بابزازهن بكلاليب من نار فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء كن يرضعن اولاد الناس بغير اذن ازواجهن ورأيت نساء ارجلهن الى السنتهن وايديهن الى ناصيتهن فقلت من هؤلاء يا اخي ياجبريل قال هؤلاء كن لا يحسن العشرة ولا يحسن

الوضوء قذرات الثياب والجسد لا يغتسلن من الحيض والجنابة ويتهاون في صلاتهن حتى تفوت ورأيت نساء صما بكما عميا في تابوت من نار يخرج دماغ رؤوسهن مثل الدهن من مناخيرهن ولانهن منتن ينقطع من الجذام والبرص فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء اولادهن كانوا من غير أزواجهن من الزنا فيجعلهن في اعناق ازواجهن ورأيت نساء معلقات بارجلهن في تنور من نار فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء كن مسلطات اللسان يشتمن ازواجهن ورأيت نساء سود الوجوه ياكلن امعائهن فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء كن قوادات يجمعن اثنين على الحرام ورأيت امراة رأسها كراس الخنزير وبدنها كبدن الحمار وعليها الف الف نوع من العذاب فقلت من هذه المراة يا اخي يا جبريل قال انها كانت نمامة توقع العداوة بين زوجها والجيران وتسعى بين الناس بالنميمة والكذب ورأيت امراة على صورة الكلب والنار تدخل من فمها وتخرج من تحتها والملائكة يضربونها على راسها بمقارع من نار فقلت من هذه يا اخي يا جبريل قال انها توقع البغضاء بين الناس ورأيت رجالا منقلبين على وجوههم وعلى ظهورهم صخرة من نار والملائكة يضربونهم بمقامع من نار فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء كانوا يؤتون الرجال دون النساء ورأيت رجالا ونساء

مصفدين باسفاد من نار وجباههم قد اسودت
والحيات مطوقات باعناقهن تلدغهن فتهري لحومهن
ثم يعودون خلقا جديدا فقلت من هؤلاء يا اخي
ياجبريل قال هؤلاء الذين يكنزون الذهب والفضة
ولا ينفقونها في سبيل الله ورايت اقواما بين ايديهم
لحم طيب ولحم خبيث وهم ياكلون الخبيث ويتركون
الطيب فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء
من امتك تكون لاحدهم امراة فيتركها ويميل الى
الحرام وكذلك من النساء من تكون مع زوجها
بالحلال وتميل الى الحرام ورايت رجالا ونساء ردت
اقبالهم الى ادبارهم وادبارهم الى اقبالهم ومقامع
النار ترتقهم والملائكة تسحبهم على وجوههم
وكلما ضربوا تلهب في اجسادهم النار فقلت من
هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء الذين يتكبرون
على الناس بغير حق الا ترى ان ابليس لما تكبر على
ادم فقال انا خير منه فتقطعت اجنحته وخرج ملعونا
ورايت رجالا ونساء سفافيد النار تدخل في ادبارهم
وتخرج من افواههم فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل
قال الهمازون واللمازون ورايت رجالا يرمون بشهب
من نار فتقع في افواههم وابصارهم وتخرج من
اقفيتهم فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء
الذين يبهتون الناس ويرمون بينهم الفتنة ورايت
نساء معلقات بشعورهن في شجرة الزقوم والحميم
يصب عليهن فيهري لحومهن فقلت من هؤلاء يا اخي

يا جبريل قال هؤلاء اللاتي كن يشربن الادوية حتى
يقتلن اولادهن خوفا من مطعمهم ومشربهم وتربيتهم
الم يعلموا ان الله يطعمهم ويسقيهم وقد قال الله
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ورايت
نساء منكسات من قيود من نار وقد فتحت افواههن
ولهيب النار يخرج من بطونهن فقلت من هؤلاء
يا اخي يا جبريل قال هؤلاء النواحات بالكراء اللواتي
يعظمن ما نهى الله عنه وقدمتن من غير توبة ورايت
رجالا ونساء في السعير والنار لها دوي في بطونهن
تدخل من ادبارهم وتخرج من افواههم ففزعت من
هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء ياكلون اموال
اليتامى ظلما انما ياكلون في بطونهم نارا ويصلون
سعيرا ورايت رجالا ونساء يسقون من القيح
والصديد وكلما يحصل في اجوافهم شيء تتمزق
جلودهم من اجسادهم ثم يعودون خلقا جديدا فقلت
من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء ياكلون الربا
ورايت رجالا ونساء رؤوسهم مفمورة في نار جهنم
فيصيب عليهم الحميم والزمهرير ينفحهم فيهري
لحومهم فقلت من هؤلاء يا اخي يا جبريل قال هؤلاء
من يلقون العداوة بين الناس ورايت نساء قد مسخن
واجسادهن سوداء كالقطران فقلت من هؤلاء يا اخي
يا جبريل قال هؤلاء اللاتي يصلن شعورهن ويغيرن
خلقة الله ورايت النار واهوالها وعقابها شديد لا تقوى
لها الحجارة والحديد ورايت فيها اهوالا عظيمة

تداخلني منها رعب على ضعاف امتي واكثر اهلها النساء ثم انطبق الباب وعاد كما كان ونظرت الى السماء الخامسة وما فيها من العجائب ثم اصطفت الملائكة وتقدمت وصليت بهم ركعتين ثم ارتقينا الى السماء السادسة وبينها وبين السماء الخامسة خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها قال خزنتها من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب ودخلناها فاذا هي سماء من ياقوتة خضراء واسمها الخالصة رايت فيها من خلقة ربي عزوجل ملكا عظيما جالسا على كرسي من نور نصفه من ثلج ونصفه من نار فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفيء النار وهو ينادي سبحان من الف بين الثلج والنار. اللهم الف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك والملائكة تقول آمين قلت يا اخي يا جبريل من هذا قال هذا ملك خلقه الله عجبا ووكله باكناف السموات وهو انصح الملائكة الى امتك يدعو لهم بهذا الدعاء الى يوم القيامة ثم تقدمت اليه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال مرحبا بحبيب رب العالمين ورايت رجلا كهلا طويلا كثير الشعر وعليه مدرعة من صوف ابيض يتوكأ على عصا يكاد شعره يغطي جسده له لحية بيضاء على صدره فقلت من هذا يا اخي ياجبريل قال هذا اخوك موسى بن عمران فضله الله بكلامه وجعله كليما ادن منه

ومنه نبيه ادنوت منه وسلمت عليه فلما دنوت منه سمعته وهو يقول يزعم بنو اسرائيل اني اكرم الخلق على الله وهذا اكرم مني على ربه هذا النبي الذي اسمه اسمي العربي الابطحي هذا الحبيب محمد الحريم هذا العظيم هذا محمد الامين بن عبدالله بن عبدالمطلب ثم قال مرحبا بالاخ الصالح والنبي الناصح بدعائي لامتي بالخير والبركة واصطفت الملائكة صفوفا وصليت بهم ركعتين على ملة ابراهيم الخليل ثم ارتقينا الى السماء السابعة في النور من فرقه بين وبينه وبين السماء السادسة خمسمائة عام وسمكها مثل ذلك فطرق جبريل بابها فقالوا من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا مرحبا بك وبمن معك ففتحوا لنا الباب فدخلناها فاذا هي سماء من درة بيضاء يقال لها المجيبة وهي العالية لم اسمع فيها صرير لاقلام ورايت من ملائكة ربي عزوجل ملائكة يقال لهما الروحانيون قال النبي ﷺ فالتفت عن يميني فاذا انا بشيخ حسن الوجه حسن الثياب جالس على كرسي من نور مسند ظهره الى البيت المعمور وهو تلقاء الكعبة شرفها الله تعالى فقلت يا اخي ياجبريل من هذا قال هذا ابوك آدم صلوات الله عليه ادن منه وسلم عليه فدنوت وسلمت عليه فرد علي السلام وهنأني بالكرامة من ربي عزوجل وقال مرحبا بالولد الصالح الناصح ابشر يا محمد فالخير

كله فيك وفي امتك الى يوم القيامة وانما يرفعك ربك ليجتبيك ويكرمك قال ورايت البيت المعمور وفيه قناديل من جواهر وانوار معطفة حوله بعضها من ياقوت اصفر وبعضها من زبرجد اخضر وبعضها من لؤلؤ رطب واذا بالملائكة يطوفون حوله فهممت وطفت معهم سبعا وقلت للملائكة كم لكم تترددون هذا البيت فقالوا من قبل ان يخلق الله ابانا آدم بالفي عام يزوره كل يوم الف الف وسبعون الف الف من الملائكة لا ترجع النوبة الى اولهم الى يوم القيامة قال النبي (ص) ثم تقدمت امامي فلم ار اخي جبريل معي فقلت يا اخي ياجبريل أفي مثل هذا المكان يفارق الخليل خليله والاخ اخاه فلم تركتني وتخلفت عني فنادى جبريل يعز عليّ ان اتخلف عنك والذي بعثك بالحق نبيا ما منا الا وله مقام معلوم ولو ان احدا منا تجاوز عن مقامه لاحترق قال فلما قال لي هذا المقال وضعت يدي على وجهي واخذتني الرعدة والخوف فضمني جبريل الى صدره ولفني بجناحيه وقال لا تخف ولا تحزن انما عرج بك ربك ليجتبيك ويكرمك ويصطفيك ويعطيك فلما قال لي هذا المقال خفف عني كل ما اجده واذا النداء من قبل الله زجو بحبيبي بالنور فحينئذ اتاني الملائكة برفرف اخضر كمثل المقعد يحمله اربعة من الملائكة فوضعوه بين يدي وقالوا لي ارق يا محمد فاستويته على الرفرف فسار بي

كالسهم الذي يخرج من القوس حتى انتهى الى بحر من نور ابيض واذا بملك ذلك البحر لو ان الطير المسرع يطير بين منكبيه لما بلغ في خمسمائة عام ثم زج بي في بحر من نور اخضر يتلألا واذا انا بملك على ذلك البحر لو اذن الله ان يبلغ السموات السبع والارضين السبع في دفعة واحدة لهان عليه ذلك لعظيم خلقته ثم خرجت من ذلك البحر الى بحر من نور اصفر واذا بملك على ذلك البحر لو وضع جميع ما خلق الله تعالى في السموات السبع والارضين السبع في يده لكان كخردلة في ارض فلاة ثم خرجت من ذلك البحر الى بحر اسود فلما رايته هويت ساجدا لله تعالى وناديت برفيع صوتي : يا غياث المستغيثين ويا اله العالمين ويا مؤنس المستوحشين ويارب العرش العظيم يا الهي وسيدي ومولاي انس وحدتي في هذه الساعة بعبد من عبيدك يكلمني ويؤنسني . واذا النداء من ساحل البحر يا محمد اليّ اقبل فاقبلت اليه واذا انا بملك عظيم الخلقة على ذلك البحر يكيل الماء بمكيال ويزنه بميزان فناديت : السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا عبدالله فقال وعليك السلام يا حبيب الله فقلت سالتك بالله اخبرني لم سميت ميكائيل ولم سمي جبرائيل ولم سمي اسرافيل ولم سمي عزرائيل قال ياحبيب الله فما الذي رايت من العجائب حتى سالتني عن

جوابا للانده في هذا المكان قلت نوجه ربي احمد واشكر وانا يا اخي يا ميكائيل احب اذا رجعت الى الارض ان لا يسالني احد عن اخبار السموات الا اخبرته عن قدرة الله تعالى قال صدقت ـ محمد اعلم يا حبيب الله ثم سميت ميكائيل لاني موكل بالقطر وبالنبات اكيل الماء بالمكيال وازنه بميزان وارسله الى السحاب الى حيث شاء الله تعالى فعند ذلك قلت له وما الرعد وما البرق قال يا حبيب الله البرق اذا حملت السحاب الماء ا ل الله اليه ملك يسوقه حيث يشاء فيقع له زمجرة وقعقعة فيضربه بسوط فيخرج منه النور هو البرق وانما سمي جبريل لانه اعطي الجبروت وهو صاحب الخسف والمسخ والقذف والزلزال والصواعق وبه اهلك الله الامم الخالية وانما سمي اسرافيل لانه ليس في الملائكة اشد منه ولا اكثر منه اجنحة وريشا وهو صاحب الصور وانما سمي عزرائيل لانه موكل بقبض الارواح وكنا نخافه لانه موكل بقبض كل ذي روح قال فسلمت عليه ومضيت عنه وهو يصلي ويسلم عليّ ويدعو لي ولأمتي بالخير والبركة ولم ازل اخرق صفوفا من الملائكة حتى انتهيت الى اخي اسرافيل عليه السلام واذا هو قد نشر اجنحته وقد سد سهما الخافقين له الف الف جناح والف الف راس في كل راس الف الف وجه في كل وجه الف الف فم في كل فم الف

الف لسان يسبح الله تعالى بالف الف لغة لا يشبه بعضها بعضا قدماه في تخوم الارض السابعة السفلى والعرش على كاهله والصور في فيه له اثقاب بعدد الخلائق ورايت الصور في فم اسرافيل ملتقمة وقد وضع قدمه اليمنى بين يديه واليسرى الى ورائه وهو منحن ينظر متى يؤمر بالنفخة واللوح المحفوظ معلق بين عينيه وعرض اللوح كما بين المشرق والمغرب ونظرت الى الصور نظرة ثانية فرايته لو وضعت السموات والارض وما فيهما فيه لكانوا كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي (ص) فناديت السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا اخي يا اسرافيل فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا حبيب الله فقلت يا اخي يا اسرافيل مالي اراك ها هنا قال هذا مقامي منذ خلقني الله تعالى الى قيام الساعة اسمع كلام الله تعالى قلت يا اخي كيف تسمع كلام الله تعالى فقال اسمعه اشد من الريح القاصف والبرق الخاطف فقلت وما يقول سبحانه وتعالى قال يقول للشيء كن فيكون فما يلحق الكاف النون حتى يكون ما اراده تعالى فقلت يا اخي يا اسرافيل في اي مكان انا قال يا حبيب الله ارفع راسك فرفعت راسي واذا انا بالعرش وجميع ما رايته في السموات والارضين السبع بالنسبة اليه كحلقة ملقاة في فلاة قال النبي (ص) ونظرت فاذا بملك على صورة الديك عنقه تحت العرش ورجلاه في

بعمود الارض عرضه الفرسخ في الفرسخ وهو سجد
يبكي في سجوده سبحان الله العظيم فاذا سبح ذلك
الملك سبحت دوك الارض جميعا واجابوه بمثل
ما يقول فيرفع الله عز وجل عن ذلك الملك
بعدد كل تسبيح من ذلك الملك سبعين
حجابا حجبه بالتسبيح والتقديس ما واحد
منهن يزيل حجب عظمته فيبقى ان كذلك الا ان
يقال له فيما بعد فقلت يا اخي يا جبرائيل
من هؤلاء قال هؤلاء الروحانيون والكروبيون وهم
حملة العرش الذين منهم وسمه شيعة فالتفت منهم
وسبعة منهم فردوا علي السلام وهنوني بالكرامة
من ربي عز وجل فبينما انا اخاطب الملائكة واذا النداء
من نور الذي السلام عليك يا محمد الصلاة والسلام
عليك يا محمد الصلاة والسلام عليك يا احمد قال
فرفعت راسي واذا انا بملك عظيم الخلقة وهو احمد
بين يدي من ايدي بقدمه سبعون الف ملك على صورته
يدنيه فيعانقني ويقبلني ويقول يا حبيب الله ويا اكرم
الخلق على الله بشرت مع هؤلاء الملائكة وهم عن
يميني وعن شمالي ومن بين يدي ومن خلفي وهم
يقولون لي ويكرمونني وهم يزالوا يسيرون حتى
اخرقنا سبعين الف حجاب من در ابيض وسبعين
الف حجاب من زمرد اخضر وسبعين الف حجاب
من الاستبرق وسبعين الف حجاب من السندس
وسبعين الف حجاب من النور وسبعين الف حجاب

من الظلمة وسبعين الف حجاب من الثلج وسبعين
الف حجاب من الجمر ون بين كل حجاب وحجاب
وحجاب خمسمائة عام قال فالتفت الي حجاب
الذهاب ومنه الى حجاب النور ومنه الى حجاب
النار ومنه الى حجاب الكفر ومنه الى حجاب الشمس
ومنه الى حجاب الظلمة ومنه الى حجاب الوحدانية
ومنه الى حجاب البقاء ومنه الى حجاب العلا ومنه
الى حجاب الكبرياء ومنه الى حجاب الخضرة الالهية
قال النبي فلما وصلت الى حجاب الفردانية فترت
الى الوحدانية واذا بسبعين الف صف من الملائكة
قيام شق ارجبهم واذا النداء من قبل الله تعالى
ارفعوا الحجب التي بيني وبين حبيبي محمد
فرفعت حجب لا يعلمها الا الله تعالى فرايت منه
الف صف من الملائكة فيما لا يرتعي ومنه الف
صف من الملائكة ركعا لا يسجدون ومنه الف صف
سجودا لا يجلسون ولا يرفعون رؤوسهم الى يوم
القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم فبينما انا
متفكر اخذني انيمنة مما رايت من الجلال والعجب
والكبر والعظمة وهيبة الله تعالى وذبت
يا احمد امسك الان مني قال فخطوت خطوة
سيرة خمسمائة عام فقيل لي يا احمد لا تخف
ولا تحزن فسكن قلبي مما كنت اجده فلم يزل ذلك
الرفرف يطوي بي حتى قربني من حضرة سيدي
ومولاي فابصرت امرا عظيما لا تدنه الاوهام ولا

عني الجنود فجعلت منهم الفرد والخمسة عشر وعشرين
الف يعني لا تتكلم علينا فتفلقنا الامر كما سمعت
على الذين من قبلنا وكانوا بنو اسرائيل كل من
اصاب منهم ذنب اصبح ذنبه مكتوبا على بابه داره
وعلى كفارته في جبهته . فقلت يا رب ولا تجعلنا
مثلهم لا طاقة لنا به قال الله تعالى يا موسى قد
سألك قومك وما اقترحوا عليك ان تعفو عنهم
وتتجاوز عنهم وتغفر لهم وترحمهم قال الله تعالى
قد فعلت يا موسى . فقلت يا رب ان مولاي قال لي
يا محمد ان مولاك قلت فانتصرنا على القوم الكافرين
قال الله تعالى قد نصرتكم على القوم الكافرين الى يوم
القيامة فقلت يا سبحانه وتعالى على ترائي بهيئتك
التي بها تكلمت لا تدركك الابصار ولا تحويك الاقطار
ولا تغيرك الليل والنهار وانت كواحد النهار ليس
بيني وبين سيدي ومولاي شيء بصري نورك
يرى وجلالتك تكلمني ارك بقلبي فقال الله تعالى
يا موسى يا محمد قد سبحانك لا يحيطك الواصفون
ولا تحدك الصارفون ولا تحولك الظنون وانت الحي
القيوم قال الله تعالى يا احمد قد قلت لي وعز
سلطاني وارتفع مكاني لا الله غيري انا ملك الملوك
وقاضي الحاجات من دعاني اجبته ومن قصدني
اعطيته ومن توكل علي كفيته ومن قام على بابنا
فبنادم ومن الآفات والعاهات نجيناه يا محمد انظر
الى الوسيم الذي كلمتك فيه فما بيني وبينك رسول

ولا ترجمان قال نبي الله موسى فرفعت راسي وقلت
يارب اين انا فقال انت على بساط الانس فرجعت
وعزمت ان اخلع نعلي فناداني ربي سبحانه وتعالى
لي على بساط قدسي لا تخلع نعليك وانت اسيد
المقدس ساعة من بيني وبين سيف نقمة تغمد
ذلك وشمر عليك بساط الانس فقلت الهي وسيدي
ومولاي ارفع السيف عن امتي فقال يا محمد سبق
حكمي وقضائي لا بقي اكثر امتك الا السيف وفي
حليمة خير لا يقي اكثر امتك الا بالفتن والطاعون
فقلت الهي وسيدي ومولاي اني اسالك نبيا قال
الله تعالى وعزتي وجلالي لقد سبقت في علمي من
بني ان احفظ دم بالغي حد ان لا تسقي نبيا
الا اسلم فقلت يا الهي وسيدي ومولاي خلقته
آدم بيديك ونفخت فيه من روحك واسجدت له
ملائكتك واتخذت ابراهيم خليلا وكلمت موسى تكليما
وجعلت لداود ملكا شديدا والنت له الحديد وعلمته
صنعة لبوس وشهرت له ذبا شديدا والنت له سليمان ملكا عظيما
وسخرت له الانس والجن والطير والوحش والريح
وخلقت عيسى من كلمة منك فضلتني كما فضلت
مولاي قال الله يا احمد ان الذي خلقت آدم بيدي
فقد خلقته من طين وقد خلقتك من نور رجبي وان
كنت اتخذت ابراهيم خليلا فقد اتخذتك حبيبا
والحبيب افضل من الخليل وان كنت قد كلمت
موسى تكليما فقد كلمته من وراء حجاب عن ظهر

اعطاك قلت اعطاني وارضاني قال فما اعطى امتك ؟ قلت اعطاهم وارضاهم وفرض علي وعليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة قال موسى اسأله التخفيف يا محمد امتك يأتون اخر الزمان جسدهم ضعيف وعمرهم قصير لا يطيقون ذلك فاسأل ربك ان يخفف عنهم فقلت يا اخي ومن يخترق تلك الحجب التي اخترقها قال موسى اسأله من هنا فانه قريب مجيب واذا النداء من العلي اسأل ما تمنت فقد اجبتك قلت يارب امتي ضعفاء لا يقدرون على خمسين صلاة قال اخس . فحط عني وعن امتي خمسا ولم ازل اسأل ربي عزوجل وموسى يكلمني حتى وهب لي خمسا واربعين وفرض عليّ وعلى امتي خمس صلوات قال موسى اسأله التخفيف قلت يا اخي استحييت من ربي فناداني ربي يا محمد قد جعلناها خمسا في العمل وخمسين في الميزان كل صلاة بعشرة ما يبدل القول لدي الحسنة بعشر امثالها ومن فعل سيئة كتبت عليه سيئة مثلها قال ثم ودعت اخي موسى وسرت حتى اتيت اخي جبريل عليه السلام واذا هو قائم على حاله لم يتقدم ولم يتاخر فلما راني عانقني وقال مرحبا يا حبيب رب العالمين اي شيء اتيت به من ربك فقلت اعطاني ربي فضلا عظيما واحسانا وشرفا وعطاء كثيرا وكرما جزيلا قال لي علمت انك اشرف الخلق على الله تعالى ثم اخذ بيدي وسرنا حتى اتينا الجنة واذا

بملك عظيم الخلقة حسن المنظر بهي الوجه والنور يلوح من وجهه جالس على كرسي من نور وعليه الحلي والحلل قلت يا اخي يا جبريل من هذا قال هذا رضوان خازن الجنان فتقدمت وسلمت عليه فلما رآني تهش مبتسما وردّ علي السلام وعانقني وصافحني وقال مرحبا بالنبي الناصح والاخ الصالح فقال جبريل يا رضوان خذ بيد حبيب الله واره الجنة فنظرت الى ارضها بيضاء مثل الفضة فتأملت في ارضها فرايت حصباءها اللؤلؤ والمرجان وترابها المسك نباتها الزعفران واشجارها ورقة من فضة وورقة من ذهب والثمار عليها مثل النجوم المضيئة والعرش سقفها والرحمة حشوها والملائكة سكانها والرحمن جارها فاخذ رضوان بيدي وسرنا بين اشجارها ومافيها من سرر وعيون وحور وابكار وقصور عاليات وولدان كانهم الاقمار وخدم وحشم وكرم وانعام ونعيم ومقام وخلود وسعود ودوام وفرح في جوار الملك العلام ورايت قبة من لؤلؤة بيضاء معلقة بلا علاقة تحملها ولا تمسكها لها الف باب من الذهب الاحمر على كل باب الف وصيفة ورايت داخل القبة الف مقصورة في كل مقصورة الف غرفة في كل غرفة الف سرير على كل سرير الف فراش من الاستبرق بين كل فراش وفراش نهر من ماء يجري وفوق كل فراش حورية تحير الناظر وتدهش الخواطر فوقفت متعجبا واذا النداء

من العلي اتتعجب من ذلك يا محمد انظر الى صدر القبة ترى العجب فتاملت فاذا هي مدّ البصر فتاملتها واذا فيها قبة من الزمرد الاخضر وفيها سرير من العنبر الابيض مرصع بالدر والجوهر عليه جارية كحلاء نجلاء شكلاء دعجاء غنجاء احسن من الشمس والقمر واين الشمس والقمر حسن ملاحة تحاكيها خلقها الله من قدميها الى ركبتيها من الكافور الابيض ومن ركبتيها الى صدرها من المسك الاذفر ومن صدرها الى وجهها من النور الازهر لها انف وستمائة ذؤابة من الشعر لو اشرفت على اهل الارض لاضاء من خضرها المشرق والمغرب ولو بصقت في البحر المالح لاصبح عذبا فقلت يا اخي يا جبريل لمن هذا النعيم العظيم والعطاء الجسيم قال يا حبيب الله هذا لمن يموت ويشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا قال ورايت نعيما وملكا كبيرا ورايت فيها سبعة انهر نهر من ماء ونهر من لبن ونهر من خمر ونهر من عسل ونهر من السلسبيل ونهر من الرحيق ونهر من التسنيم ونهر من الكوثر قال النبي (ص) ولم ازل انزل من سماء الى سماء فما مررت على شيء في السموات الا وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فلما انتهينا الى السماء الدنيا اذا الليل على حاله لم يتقدم ولم يتاخر فركبت واتيت الى مكة شرفها الله تعالى وعظمها ونزلت عن البراق فرد عني جبريل وقال يا محمد اذا اصبحت حدث

قومك بما رايت من العجائب في هذه الليلة وبشرهم برحمة الله تعالى فقلت يا اخي ياجبريل اني اخاف ان يكذبوا اني اسرى بي هذه الليلة فقال جبريل ان كذبوك صدقك ابو بكر فلا تبال بما كذبوك قال النبي (ص) فنمت على فراشي الى وقت صلاة الصبح فصليت الصبح ثم خرجت على باب المسجد وكانت عادة ابي جهل الخبيث اذا مر عليّ يقول بما نبئت يا محمد البارحة فمر عليّ وسالني على حسب عادته فقلت له اسرى بي قال الى اين فقلت الى بيت المقدس الى السموات ثم الى العرش وخاطبت الحق وخاطبني واعطاني واكرمني ورايت الجنة وما اعد الله لاهلها من النعيم المقيم ورايت النار وما اعد الله لاهلها من الزقوم والحميم قال ابو جهل يا محمد اكتم هذا الامر ولا تتكلم به يكذبك الخلق فقلت الاكتم امرا انعم الله به اليّ ومنّ به عليّ قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث قال ابو جهل لعنه الله بالله العجب من قولك تقدر تحدث قومك بما اخبرتني به فقلت نعم فنادى الخبيث في اهل مكة شرفها الله تعالى يا اهل مكة هلموا اليّ فاجتمع اهل مكة كلهم فقام رسول الله (ص) خطيبا وقال يا معشر قريش : اعلموا ان الله سبحانه وتعالى اسرى بي الى بيت المقدس ثم ارتقيت الى السماء السابعة وشاهدت الانبياء عليهم الصلاة والسلام وعلوت الى العرش ودست بساط النور

وخاطبت الحق وخاطبني ورايت الجنة والنار فجعلت اصف هذا كله وابو بكر يقول صدقت يا صفوة الله صدقت يا حبيب الله فقال ابو جهل الخبيث وصفت واحسنت فما نريد منك خبر السماء ولكن نريد منك خبر بيت المقدس وكيف هو صفه لنا حتى نعلم ان كلامك حق وصدق فاطرق النبي (ص) راسه الى الارض لانه دخل الى البيت المقدس بالليل ومر عليه راجعا بالليل ولم ير له علامة ولا تأمل له اشارة فاوحى الله تعالى الى جبريل اهبط الى بيت المقدس واقتلعه بارضه وجباله وتلاله واوديته وازقته وشوارعه ومساجده وابسطه بين يدي حبيبي محمد فعند ذلك هبط الامين جبريل على النبي (ص) واتى ببيت المقدس وبسطه بين يدي رسول الله فجعل ينظر اليه ويصفه مكانا مكانا وموضعا موضعا حتى اطرقوا جميعا الى الارض وابو بكر الصديق يقول صدقت ياحبيب الله ثم قال النبي (ص) لما كنت انا واخي جبريل في الهواء رأيت من بني مخزوم فلانا وفلانا هم وركب عند جبل الاراك وقد ضل جمل احمر فناديتهم من الهواء جملكم في وادي النخل وهم عند طلوع الشمس من الغد يردون عليكم فاذا جاؤكم فسألوهم فلما أصبح ذلك اليوم وكان الركب بعيدا لم يقدروا ان يدركوا مكة عند طلوع الشمس قال فامسك الله في ذلك اليوم الشمس حتى لحق

الركب مكة اكراما وتصديقا لكلام سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد (ص) قال ولما طلعت الشمس دخل الركب مكة واخبروا انه ضل منهم بعير قالوا وكنا ندور عليه فنادانا شخص من الهواء ان البعير في وادي النخل فاتينا الوادي فوجدناه كما ذكر لنا فلما سمع الناس ذلك فرحوا شديدا وضجوا بالتهليل والتكبير وخرج رسول الله (ص) والمسلمون حوله وهو بينهم كالقمر وهم حوله كالنجوم واسلم في ذلك اليوم اربعة آلاف رجل وضجت الملائكة في السموات بالتهليل والتكبير اكراما للبشير النذير وعاداه ابو جهل وجحده وحسده وقال هذا سحر عظيم منك يا محمد واقبل النبي (ص) يحدث اصحابه بما رآه السموات والعرش من العجائب وما رآه من الجنة من النعيم الدائم لأهل محبته وما رآه في النار والجحيم والعذاب الاليم لاعدائه وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

ـ مصادر البحث ـ

المصادر الأجنبيّة :

1 - Dante, œuvres Complètes, édition "Les pléiades" 1968.

2 - Gayét de Cézena, vie de Dante, 1856

3 - (F) Baldensperger, Orientations étrangères Chey Balzac.

4 - Blochet (E) Les sources Orientales de la Divine Comédie, Maisonneuve, 1907.

5 - Miguel Asin Placios, "L'escalogia en la Divina Comedia, Madrid, 1919

6 - Folkierski (W), Dante et l'Islam (Résumé de la communication du 9e congrès des sciences historiques tenu en 1950 à Paris.

7 - Olzclshi (L) Mohammaden Escatology and Dante's other world. Comparative literature review No. 1, 1951 University of Oregon.

8 - Nykle, A. R. Dante, Inferno XXXVI 67 le vers arabe" de Dante, dans "Estudios dedicados a Menedery Pidal III

9 - Armande Troni, Dante et Mahmoet

10 - Levi Della VIDA. Z, Nuova Luce Sulle fonti Islamiche della Divina Comédia (Al-Andalus) 1949, fase 2.

11 - Gabrielli (F) Nuova Luce su Dante et l'Islam, Nuovo antologia (Rome) Sep. 1959, fase 1797.

12 - Candillae, Maurice de, Dante. Paris seghers 1968.

13 - Vittorini Dominico, the age of Dante, Syracuse, 1957.

14 - De Sua, William J. A Dante Symposium in Commemoration of the 700 the anniversary of the poet's birth (1265-1965), Chapel Hill, University of North Carolina press.

15 - Limentani, uberto, The minde of Dante, London, 1965 Cambridge univ.

16 - Vossler, Karl Mediaeval Cultur, an introduction to Dante and his time. 2 vols.

17 - Bellesort, A. Nouvelles études et autres figures, Paris, Perrin

المصادر العربيّة :

١ ـ عفـاف بيضون ، بين المعرّي ودانتي ، ١٩٤٧ .

٢ ـ د . عمر فروخ ، حكيم المعرّة ، دار الكشاف ١٩٤٨ .

٣ ـ جلال مظهر ، مآثر العرب على الحضارة الاوربية ١٩٦٠.

٤ ـ د . محمد غنيمي هلال ، الادب المقارن ، ١٩٦١

٥ ـ د . كامل الشيبي ، كتاب التوهم للمحاسبي اول كوميديا الهية بحث نشر في مجلة الاديب العراقي ١٩٦١ .

٦ ـ د . لويس عوض ، على هامش الغفران ١٩٦٤ دار الهلال.

٧ ـ د . عبدالرحمن بدوي ، دور العرب في تكـوين الفكر الاوربي ١٩٦٥ .

٨ ـ د . بنت الشاطىء ، الغفران ١٩٥٠ دار المعـارف . القـاهرة .

٩ ـ عيسى الناعوري ، ادباء من الشرق والغرب ـ من الادب المقـارن ـ ١٩٦٦ .

١٠ـ د.جميل سعيد ، الزهاوي وثورته في الجحيم .

١١ـ اومبرتو ريزيناتو ، العرب وجحيم دانتي ، مجلة الهلال ، العـدد الاول السنة ٧٣ ، اول يناير ١٩٦٥ .

١٢ـ د . حسن عثمان ، الكوميديا الالهية ٣ أجزاء ، ترجمة الى العربية دار المعارف ، القاهرة .

١٣ـ فرانسوا ماريوس گويار ، الادب المقارن ، المطابع الجامعية الفرنسية .

١٤ـ ابن عباس ، قصة المعراج ، بيروت . مكتبة التعاون .

الفهرس

ـ مقدمـــة ٣

ـ المسألة قبل (آثين پلاثيوس) ٥

ـ تقييم كتاب (ا ـ بلوشية) ١٧

البـاب الاول

الكوميديا الالهية في المصادر الاوربية ٢٢

أ ـ ميگيل آثين پلاثيوس : فكرة الحشـر والنشر الاسلامية في الكوميديا الالهية

ب ـ اصداء لـ (پلاثيوس) : ارماندو تروني، دانتي ومحمـد ١٩٤٨ م ٣٢

جـ ـ اضواء جديدة عن (دانتي) والاسلام للمسـتشرق الايطـالي (فرانسسكو گابريلّلي) ٣٥

البـاب الثـاني

ـ **الكوميديا الالهية في المصادر العربيـة الحديثـة** ٤٥

أولا :

المؤيدون لفكرة تأثر دانتي بالمصـادر العربيـة ٤٥

أ ـ الباحثة : عفاف بيقون في : « بين المعري ودانتي » ٤٥

ب ـ د . عمر فرّوخ . دانتي اليغيري والكوميديا الالهية ٤٩

جـ ـ جلال مظهر . مآثر العرب على الحضارة الاوربية ٥١

د ـ د . محمد غنيمي هلال : مسألة تأثر دانتي بالمصادر الاسلامية ٥٣

هـ ـ د . كامل الشيبي . كتاب التوهم للمحاسبي اول كوميديا إلهية .. ٥٧

و ـ د . لويس عوض . على هامش الغفران ٦١

ز ـ د . عبدالرحمن بدوي . أثر الاسلام بدانته ٦٥

ح ـ د . بنت الشاطىء. الغفران ٧٢

ثانيـــا

بعض المعارضين لفكرة تأثر دانتي بالاسلام

أ ـ عيسى الناعوري .. ٧٦

ب ـ د . جميل سعيد . الزهاوي وثورته في الجحيم ٨٠

البـاب الثالث

موقفنا من القضية ـ ملاحق : ملحق

رقم ١ : في الاصالة والتقليد .. ٨١

ـ « آنين بلاثيوس » ـ ملحق رقم ٢ : قائمة بالمقالات والكتب المؤيدة والمعارضة ٩٤

ـ ملحق رقم (٣) : معراج النبي (محمد) برواية الامام ابن عباس ٩٧

ـ مصادر البحث ١٢٤